المسيح
كما يراه المسلمون

حياة وصفات وتعاليم المسيح
حسب القرآن والأحاديث النبوية

للدكتور صموئيل زويمر

THE GOOD WAY · RIKON · SWITZERLAND

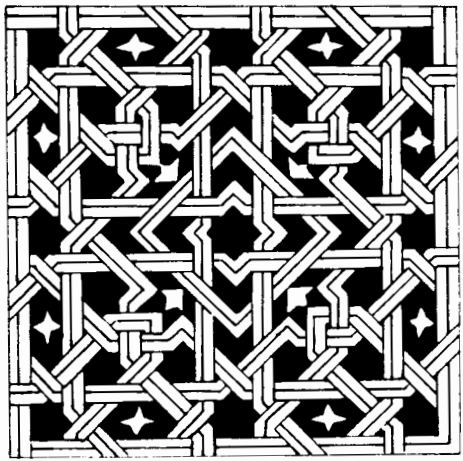

Former title of the book:
Isa or Jesus?

New title of the book:
Christ, as Moslems see him
Christus, wie ihn die Moslems sehen

Order Number: RB 4360 A

جميع الحقوق محفوظة

THE GOOD WAY · P.O.BOX 66 · 8486 RIKON (SWITZERLAND)

محتويات الكتاب

تمهيد		5
الفصل الأول	- أسماء المسيح وألقابه	7
الفصل الثاني	- المسيح في القرآن، حياته وموته ورفعه.	22
الفصل الثالث	- المسيح في كتاب «قصص الأنبياء» من ولادته إلى خدمته الجهارية	38
الفصل الرابع	- المسيح في كتاب «قصص القرآن» من خدمته الجهارية إلى مجيئه ثانية	55
الفصل الخامس	- ذات المسيح وصفاته	86
الفصل السادس	- تعاليم المسيح	108
الفصل السابع	- محمد لا المسيح!	121
الفصل الثامن	- أنتم شهودي	134
المسابقة		144

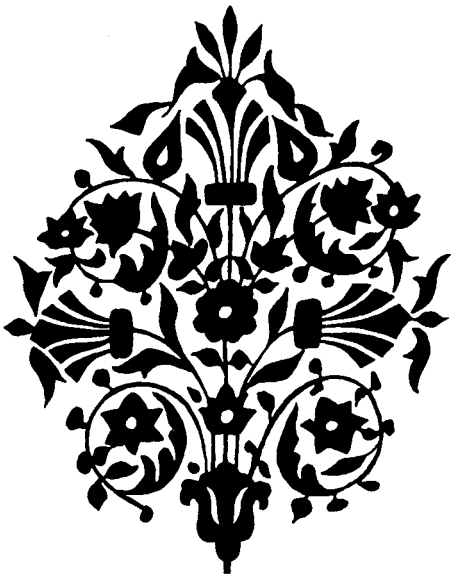

تمهيد

يفسح القرآن بين صفحاته أمكنة واسعة لذكر أحوال السيد المسيح، ككيفية حمل أمه به، وولادته، وبعض معجزاته، ووفاته، وصعوده إلى السماء. ولكننا نراه قد أنكر لاهوته وكفارته بعمل الفداء التى هي أهم باعث له على تجسّده ومجيئه لهذا العالم. وما أتى به من التلميحات التي تشير إلى لاهوته ومقامه السامي هي غير وافية بالغرض، لخفائها ووجود ما يناقضها.

نعم إن القرآن والمسلمين كافة يعترفون أن المسيح نبي من أولي العزم من الرسل، ولكن بين ذلك وبين مقامه العلي بُعْدٌ شاسع. وإن كثرة ذكر المسيح في الكتب الإسلامية واعتراف المسلمين كافة أنه أحد أنبيائهم يدعو كل باحث عن الحقيقة إلى المقابلة بينه وبين محمد. ويجمل بكل مسيحي مخلص أن يسأل أخاه المسلم «ماذا تظن في المسيح؟». وجواب هذا السؤال مهم جداً لكل إنسان لأنه يتوقف عليه مستقبل الأفراد والأمم. ولنساعد إخوتنا المسلمين على الإجابة بالصواب على هذا السؤال يلزمنا أن نعرف ما يعتقده المسلمون في المسيح، ونتخذ اعتقادهم سُلَّماً يوصّلنا إلى ما فعله الإنجيل وبيَّنه في العهد الجديد، من كماله الأتمّ وجماله الأكمل. والذي أظنه بإخوتنا المسلمين المحققين أنهم يسلّمون بكل ما يرويه الإنجيل، لأن القرآن

أثنى عليه أحسن الثناء، بل شهد أنه جاء مصدِّقاً له ومهيمناً عليه، أي حافظاً ورقيباً عليه من التغيير والتحريف. ولا نصغي لما يتفوَّه به بعض المنتسبين للعلم الإسلامي وهو منهم بريء!

وإذ نذكر ما ورد في الإنجيل من صفات المسيح وجماله الباهر نبيّن الحقيقة الصحيحة للذين يكرمونه كنبي ولا يعرفون حقيقته الحقة.

أغلب اقتباسنا لأخبار المسيح من الكتب الإسلامية هو من كتاب«قصص الأنبياء» للإمام الفقيه أبي أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسّر المشهور المتوفى سنة (٤٢٧ هـ و١٠٣٦م).

ويقصد الكاتب أولاً إظهار فقر المسلمين في معرفة يسوع، وثانياً توجيه قلوب وعقول المسيحيين عموماً والعاملين منهم خصوصاً الى نقل هؤلاء من محبة عيسى إلى الإيمان بيسوع.

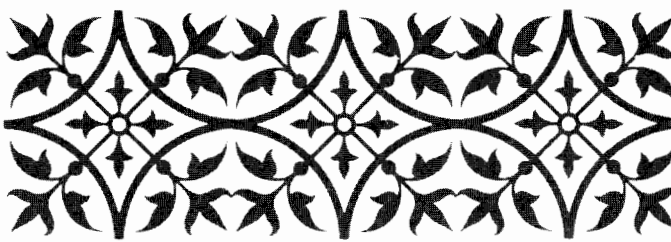

الفصل الاول

أسماء المسيح وألقابه

جرت عادة الشرقيين أن يعطوا أهمية خصوصية للأسماء والألقاب، ويتضح ذلك من مطالعة التوراة والزبور والإنجيل، ومن العوائد التي لا تزال متَّبعة بين العرب إلى يومنا هذا، من منح أسماء وألقاب للأشخاص والأماكن بقصد الإشارة إلى صفة مميزة للشخص أو المكان أو الشيء بواسطة مسمَّاه، ولذلك كان من المهم أن نبدأ كتابنا بذكر الأسماء المعطاة للمسيح في القرآن، والدارج استعمالها بين المسلمين أكثر من غيرها. ولا يصح مطلقاً لأهل السنَّة أن يستعملوا أسماءً وألقاباً أخرى للمسيح غير المستعملة في القرآن، ولنبدأ بذكرها حسب أهميتها وكثرة ورودها:

(اولاً) - عيسى (يسوع) وهو الاسم الأكثر استعمالاً بين المسلمين مسبوقاً بكلمة النبي مضافاً اليه ابن مريم، وهذا ورد خمس وعشرون مرة في القرآن.

(١) سورة البقرة ٨٧ - «ولقد آتينا موسى الكتاب وقفَّينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس».

(٢) البقرة ١٣٦ - «قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا، وما أُنزل إلى ابرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى».

(٣) البقرة ٢٥٣ - «وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس».

(٤) آل عمران ٤٥ - «إذ قالت الملٰئكة: يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين».

(٥) آل عمران ٥٢ - «فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال مَنْ أنصاري إلى الله؟».

(٦) آل عمران ٥٥ - إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتَّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيـٰمة».

(٧) آل عمران ٥٩ - «إن مَثَل عيسى عند الله كمَثَل آدم».

(٨) آل عمران ٨٤ - «قُلْ آمنا بالله وما أُنزل علينا، وما أُنزل على ابرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى والنبيُّون من ربهم».

(٩) سورة النساء ١٥٧ - «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه».

(١٠) النساء ١٦٣ - «إنا أوحينا إليك كما أوحينا... إلى إبرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط، وعيسى».

(١١) النساء ١٧١ - «إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقـٰها الى مريم وروح منه».

(١٢) المائدة ٤٦ - «وقفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التورٰة».

(١٣) المائدة ٧٨ - «لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم».

(١٤) المائدة ١١٠ - «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدّتك بروح القدس».

(١٥) المائدة ١١٢ - «إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم، هل

يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء؟».

(١٦) المائدة ١١٤ - «قال عيسى ابن مريم: اللهم ربَّنا أنْزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً».

(١٧) المائدة ١١٦ - «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟».

(١٨) الأنعام ٨٥ - «وزكريا ويحيى وعيسى والياس، كل من الصالحين».

(١٩) مريم ٣٤ - «ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون».

(٢٠) الأحزاب ٧ و٨ - «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك ومن نوح وإبرٰهيم. وموسى وعيسي ابن مريم... ليسأل الصادقين عن صدقهم».

(٢١) الشورى ١٣ - «شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصَّينا به إبرٰهيم وموسى وعيسى».

(٢٢) الزخرف ٦٣ - «ولما جاء عيسى بالبيّنات قال: قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله وأطيعون».

(٢٣) الحديد ٢٧ - «وقفَّينا بعيسي ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفة ورحمة».

(٢٤) الصف ٦ - «وإذ قال عيسي ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم».

(٢٥) الصف ١٤ - «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري الى الله؟»

ومن مراجعة هذه النصوص القرآنية تجد أنه في ستة عشر موضعاً منها يُدعى «عيسي ابن مريم» وفي خمسة يُقرن مع اسم موسى نبي العهد القديم العظيم، وربما لم يكن لذكر موسى مع عيسى من سبب سوى مقاربة الاسمين لفظاً وهجاءً، وهذا استعمال كثير الورود في القرآن كقوله هاروت وماروت وهابيل وقابيل وما أشبه. وأما اشتقاق كلمة عيسى وأهميتها فسنتكلم عنها في محل آخر.

(**ثانياً**) - **المسيح** - وقد ورد في القرآن ثماني مرات في ثلاث منها مقترناً باسم عيسى.

(١) في سورة آل عمران ٤٥ (مر ذكرها)
(٢) النساء ١٥٧ (مر ذكرها)
(٣) النساء ١٧١ (مر ذكرها)

وفى الخمس الباقية وحده

(١) النساء ١٧٢ - «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملـئكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً»

(٢) المـائدة ١٧ - «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً؟».

(٣) المـائدة ٧٢ - «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح: يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم».

(٤) المائدة ٧٥ - «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام».

(٥) التوبة ٣٠ - «وقالت اليهود عُزَيْرُ ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون».

أما عزير هذا فقد قال الكلبي إن بختنصر ظهر على بني اسرائيل وهـدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة. وكان عزير إذ ذاك غلاماً

صغيراً، فاستصغره فلم يقتله، ولم يدرك أنه قد قرأ التوراة. فلما فات مائة سنة ورجعت بنو إسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة، بعث الله تعالى فيهم عزيراً ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية، فأتاهم عزير وقال: أنا عزير، فكذبوه وقالوا: إن كنت عزيراً كما تزعم فاتْلُ علينا التوراة، فكتبها وقال: هذه التوراة. ومع أن هذا الحديث لا أصل له في التلمود اليهودي، فإن البيضاوي يقول إن الآية قُرئت على اليهود فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب (البيضاوي تفسير التوبة ٣٠)

ومما جاء في النساء ١٧٢ من تلقيب المسيح بعبد الله كما جاء في إشعياء ٤٢ : ١٩، وفي سورة التوبة ٣١ من تلقيبه بابن الله، ومما سيأتي من تلقيبه بكلمة الله، نرى أن محمداً أخذ هذه الألقاب من شفاه المسيحيين الذين كانت له عِشْرة معهم لأنها ألقاب مسيحية محضة لا يهودية.

(ثالثاً) - كلمة الله - وقد وردت في القرآن في أماكن عديدة، غير أنها في نص الموضعين الآتيين تشير بصراحة الى المسيح.

(١) سورة آل عمران ٤٥ - (مر ذكرها)

(٢) سورة النساء ١٧١ - (مر ذكرها)

وفى هاتين الآيتين يُلقَّب المسيح بكلمة الله وكلمة من الله، وقد أجمعت كلمة المفسرين وعلماء اللغة على استعمال لفظتين ممتازتين لكلمة الله الواحدة، يُقصد بها وحيه الشريف ويستعملون له «كلام الله». والأخرى «رسوله» ويقال له «كلمة الله». ولا يوجد في كل القرآن إلا هاتان الآيتان حيث يُلقَّب مخلصنا هذا اللقب الإنجيلي المحض. ومما يجب الالتفات اليه هو ان موسى يُلقَّب في القرآن «كليم الله» أي أن الله حسبه أهلاً لثقته ومحادثته، بينما يسوع يُلقب «كلمة الله» لأنه يوصل كلمة الله وإرادته للبشر.

(رابعاً) - روح الله أو روح من الله، واستُعمل هذا اللقب مرة واحدة في القرآن في النساء ١٧١ (مرّ ذكرها) ولكن لم يتفق المفسرون على معناها، فقال بعضهم إنه لقب خاص بعيسى المسيح، وقال آخرون إن عيسى يشترك مع سائر البشر في أنهم من روح الله الخالقة.

(خامساً) - دُعي المسيح في القرآن نبياً ورسولاً

مريم ٣٠ و٣١ - «تكلم في المهد وقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت».

الحديد ٢٧ (مرَّ ذكرها)

النساء ١٧١ (مرَّ ذكرها)

وجاء في الأحاديث الإسلامية أن عدد أنبياء الله ورسله ١٢٤ ألفاً، وقال بعضهم بل ٢٤٠ ألفاً، وقال آخرون لا بل ١٠٠ ألف. ويظهر من هذا وغيره أن كلمتي نبي ورسول ليس لهما عند الإسلام المقام والاحترام اللذين لهما في العهد القديم والعهد الجديد. وقد بلغ عدد الرسل الذين جاءوا برسالة خاصة ٣١٣ نفساً. ويقولون إن النبي رجل ملهم من الله ولكنه غير مكلَّف بتبليغ رسالة أو كتاب، أما الرسول فهو من أُرسل بشريعة جديدة أو بكتاب خاص. فكل الرسل أنبياء ولا يُعكس. أما يسوع فكان رسولاً ونبياً معاً. وقد قال المفسرون ما معناه أن النبي يُشترط فيه أن يكون ذكراً من أبناء آدم، حراً لا عبداً، سليم العقل والجسم، لا عيب في جسده ولا مرض، قد أُعلن له إعلان فقبله. ويشترط فيه أن لا يتنبأ قبل سن التكليف. ولا يمكن لامرأة أن تكون نبية (الجوهرة).

صفات النبي

أما صفات النبي التي ينبغي أن يتصف بها فأربع:

(١) الأمانة - أي أنه أثناء أداء عمله كنبي يُحفظ من ارتكاب أي خطية، وقد ساد بين المسلمين الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الخطايا، رغماً عن تصريح القرآن في أماكن عديدة بخطايا الأنبياء أجمعين، بمن فيهم محمد.

(٢) الصدق - أي أنه يتكلم الصدق المطابق لحقيقة الواقع، أو على كل حال ما يعتقد أنه صدق.

(٣) توقُّد الذهن أو الفطنة التي يقدر بها أن يُسكت المقاومين والمعارضين. وهذه الصفة تكون في الرسل أكثر منها في الأنبياء.

(٤) تبليغ الرسالة - أي أنه لا يتأخر عن تبليغ ما أعلنه الله له مهما كانت الظروف والأحوال.

أما يسوع فلأنه كان نبياً ورسولاً معاً، فكانت له قوة إتيان المعجزات كما سنبيّن ذلك في فصل آت.

وحتى تفهم لقبي نبي ورسول الملقَّب بهما يسوع في القرآن، وجب ان تعلم أن أعظم نبي ورسول عند المسلمين هو محمد، وانه ليس أعظم الأنبياء والمرسَلين فقط ولكن أشرف خلق الله أجمعين. ثم يأتي بعده في المقام أربعة، هم إبراهيم وموسى ويسوع ونوح، وهؤلاء الخمسة لُقّبوا بأولي العزم. وهذا اللقب مأخوذ من سورة الأحقاف ٣٥ قوله «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يُوعدون». ويقول المسلمون إن ستة من الأنبياء قد أتوا بشريعة جديدة وناموس جديد، ولذلك يعطون لكل واحد منهم لقباً خاصاً فيقولون (آدم) صفي الله و(نوح) نبي الله و(إبراهيم) خليل

الله و(مـوسى) كليم الله و(عيسى) روح الله و(محمد) رسول الله. فيتضح لك من كل ما تقدم أن المسيح لا يشغل المكان الأرفع، بل له أسوة بإبراهيم وموسى ومحمد الخ.

أهمية اللقب

ولنبحث الآن في أهمية الأسماء والألقاب التي يلقب بها المسلمون المسيح، ونتأمل أيضاً في صيغتها واشتقاقها:

كثـيراً ما نسمع الناس يسألون: لماذا استعمل محمد كلمة عيسى بدلاً من يسـوع؟ ولا نجـد جواباً معقولاً لهذا التغيير والتبديل، بل بالحري نجد أن هذا التبديل صار حجر عثرة في سبيل الكثيرين من المسلمـين الراغبين في الاطلاع على الحق الإنجيلي. وقد سأل أحد المتنصرين عالماً مسيحياً: «هل يتكرم سيدي ويجيبني على هذا السؤال وهو: لماذا دُعي يسوع عيسى في الكتب الإسلامية، وهل لهذا الاسم وجود بين العرب في أيام الجاهلية؟». فأجابه أنه لا أهمية مطلقاً بصيغة الاسم وتركيب حروفه سواء كان عيسى أو يسوع، وإنما اخترع محمد هذه الصيغة لتوازنها في اللفظ وسجعها مع لفظة موسى، كما بدَّل اسم جليات إلى جالـوت وشاول الى طالوت للسجع أيضاً (كما في البقرة ٢٤٧-٢٤٩) وكـذلك بدَّل اسمي ابني آدم قايين وهابيل إلى قابيل

وهابيل، والاسمين للملاكين المزعومين هاروت وماروت اللذين علّما الناس السحر (البقرة ١٠٢). إنما تعترضنا صعوبة في هذا التعليل وهي أن اسم عيسى لم يقترن باسم موسى إلا في خمسة أماكن فقط، أما في الأماكن الأخرى التي ورد فيها ذكر عيسى فلم يراع فيها السجع. وقال آخرون إن كلمة عيسى هي تصحيف كلمة يسوع بقلب في ترتيب الحروف العبرانية. ولكننا نرى أن هذا اعتساف أيضاً لا يؤيده علم الصرف والاشتقاق إلا قليلاً، لأننا إذا قلبنا كلمة يسوع بترتيب حروفها اضطررنا أيضاً الى قلب الواو ياء والياء الأولى ألفاً مقصورة. وقد قال البيضاوي في تفسيره إن عيسى هي الصيغة العربية للكلمة العبرانية يسوع، وهي مشتقة من العيوس أي أبيض يخالطه شيء من الشقرة.

وقال الدكتور اوتو باوتز: «معلوم أن عيسو أخ يعقوب كان هو ونسله أعداء ألدّاء لبني اسرائيل شعب الموعد في كل أدوارهم التاريخية، فلكراهة اليهود ليسوع مسخوا اسمه احتقاراً ودعوه عيسو، فأخذه عنهم محمد دون أن يلتفت إلى المعنى السيء الذي يقصدونه في أفكارهم الخبيثة». وكنا نود لو قدّم لنا الدكتور براهين أخرى على صحة رأيه هذا، ولكننا مع كل ذلك نراه حسب ظاهره أقرب قبولاً من غيره بناءً على ما هو مشهور من اتخاذ محمد أشياء كثيرة من اليهودية واليهود.

أما من جهة الكلمة «المسيح» فمع انها مأخوذة من اللغة العبرانية، ولها أهمية عظمى بمعنى الممسوح، غير أن بعض المسلمين يشرحونها شرحاً بعيداً عن مبناها ومعناها. ولنضرب لك مثلاً ما وُجد مكتوباً بالعربية على كوبري (جسر) في فتح بور سكري بالهند وهو: «قال عيسى عليه السلام الدنيا جسر أعبُرها ولا تَبْنِ عليها». ويقال في الأحاديث المنقولة عن محمد إن أصل هذا القول كما رواه الثعلبي في قصص الأنبياء «ان عيسى رأى مرة ثعلباً يركض في الصحراء، فقال له: إلى أين يا ثعلب؟ قال الثعلب: أتيت من الرياضة وعائد الى بيتي. قال عيسى لكل إنسان بيت وأنا ليس لي مقر. فقال بعض سامعيه إن هذا يحزننا يا نبيَّ الله، فاسمح لنا أن نبني لك بيتاً. قال: ليس لي مال. قالوا: ندفع عنك النفقات. قال: إذاً أختار المكان. قالوا: ذلك لك. فأخذهم إلى شاطىء البحر وأشار إلى الأمواج وقال: هنا ابنوا لي البيت. قالوا: هذا بحر يا نبي الله، فكيف نبني عليه؟ قال: نعم، والدنيا بحر لا يستطيع أحد أن يبني عليها بناءً ثابتاً».

ومع أن التعليل عن اشتقاق كلمة عيسى من يسوع بقلب وإبدال هو مقبول على نوع ما، ولكن لا يغرب عن الأفهام أن المسلمين يقبلونه ليتخلَّصوا به من الكلمة الأصلية وما لها من الأهمية المعنوية. حتى في قاموس الفيروزابادي مثلاً، تجده في تعريف كلمة مسيح يرجع بها للفعل مسح، ولكنه يعود فيقول: «وقد لُقّب به عيسى لأنه كان كثير

الأسفار، فلم يقطن في محل واحد». وإذا رجعت إلى كتابه «مشارق الأنوار» تجده يقدم أكثر من خمسين تعليلاً، وكل ذلك ليتخلص من معناها الحقيقي.

ومما تقدم يتضح لك أن القرآن يلقّب المسيح بكلمة الله، كما أنه في مريم ٣٤ يلقبه «قول الحق». فمن هذين اللقبين يظهر لك بأجلى بيان طبيعة يسوع المسيح الأزلية ومقامه السامي، سواء سلَّم بذلك إخوتنا المسلمون أم لم يسلموا. ولقد أجاد الدكتور كلير تسدل بقوله في كتاب ميزان الحق. «إن الكلمة تدلّ على تعبير ما في عقل المتكلم، وهو في هذه الحالة الله تعالى. وعليه إذا كان المسيح كلمة من الله فما هو إلا تعبير إرادة الله. وحيث أن الله بنفسه يدعوه «كلمة الله» فهو تعبير إرادة الله الكامل، أو بعبارة أخرى استعلان الله، وبواسطته تكلم الأنبياء عند إرساله لهم روحه القدس. فكلمة الله إذاً تبيّن أن المسيح هو الوحيد الذي يعلن الله للناس، إذ هو يعرف الله ويعلن إرادته تماماً».

ونشير إلى لقبين مهمين آخرين:

(١) ما جاء في الأنبياء ٩١ قوله عن مريم وابنها: «وجعلناها وابنها **آية للعالمين**». واستعمال كلمة آية بالمفرد على حين أن الكلام على اثنين يذكـرّنا بما ورد عن مخلصنا في نبوة إشعياء «أنه يكون عجيباً». وقد

اجتهد البيضاوي أن يقلل أهمية هذا القول بما وسعت حيلته في التأويل، فقال: «آية للعالمين فان من تأمل حالها تحقق كمال قدرة الصانع تعالى».

(٢) ما جاء في آل عمران ٤٥ قوله: «إذ قالت الملئكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، **وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين**». فلو شاء الأخ المسلم أن يقبل هذه الأقوال المنسوبة لله كما تؤدي ألفاظها من المعنى الصريح، لما وجد صعوبة في الاعتقاد أن يسوع المسيح حسب شهادة القرآن أعظم كل الأنبياء. وقد قال البيضاوي شرحاً على هذه الآية: «الوجاهة في الدنيا النبوّة وفي الآخرة الشفاعة، ومن المقربين إلى الله. وقيل إشارة الى علوّ درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة».

الفصل الثاني

المسيح في القرآن
حياته وموته ورفعه

تعترضنا ثلاث صعوبات في ذكر ما جاء في القرآن عن حياة يسوع المسيح:

(١) عدم اتصال أخبار القرآن وتسلسلها، فلا تجد فيه ترتيباً تاريخياً ولا تسلسلاً منطقياً، لأن آياته نزلت حسب قولهم في أوقات متقطعة وأماكن مختلفة. هذا علاوة على التشويش العام الذي يصادفه القارىء الراغب أن يتبع أمراً من بدايته إلى نهايته، فتجد الشرائع ممزوجة بالقصص، والأخبار بالأوهام، والوعد بالوعيد. وقلما تجد في السور التي نزلت أولاً خبراً عن رجال العهد القديم. ومع أن تلك السور تجد عليها مسحة من الروح المسيحي ظاهرة في أماكن عديدة، فإن ذكر المسيح لم يرد فيها البتة!

(٢) لا تخلو أقوال القرآن عن المسيح من التناقض، مثل بعض تعاليمه. فبعض الآيات تتكلم عنه مجرد إنسان ونبي، بينما بعضها

الآخر يلقّبه بألقاب لا يُلقَّب بها إنسان في الوجود. واكبر مناقضة هي ما جاء عن موته، فإنه لا يمكن التوفيق بين تلك الآيات إلا تعسُّفاً.

(٣) الترتيب التاريخي للسور، فإننا إذا أردنا أن نتبع نشوء الفكر وتقدمه عند محمد عن المسيح، وجب أن نبدأ بأول ذكر جاء عنه حسب الترتيب التاريخي، ثم نسير فيه تدريجياً وتاريخياً حتى نصل الى آخر سورة. ولكنه من الأسف لا يوجد اتفاق بين علماء الإسلام أنفسهم على الترتيب التاريخي للسور القرآنية، ويقرّون أن ترتيبها الحالي ليس تاريخياً، ويتمنون لو أمكن الحصول على معرفة يقينية من حيث وقت نزول كل سورة ومكانها.

وبما أنه ليس جل قصدنا الآن أن نتبع نمو هذا الفكر في عقل محمد، بل أن نجمع كل الآيات المتَّفق عليها عند كل المسلمين أنها تشير الى يسوع المسيح، لذلك لا نكلف أنفسنا تعباً في البحث في الترتيب التاريخي، بل نكتفي بجمع الآيات المشيرة إليه، مراعين في ذلك ترتيب الإنجيل التاريخي، حتى نقدم للقراء تاريخ المسيح بعبارات قرآنية:

(١) البشارة به

«وإذ قالت الملـئكة : يا مريم إن الله اصطفـكِ وطهرك واصطفـكِ على نسـاء العـالمـين. يا مريم اقنُتي لربـك واسجـدي واركعي مع الراكعين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلْقُون أقلامهم أيُّهم يكفل مريم، وما كنت لديهم إذ يختصمون. إذ قالت الملـئكة: يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهـلاً ومن الصالحين. قالت: رب أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟ قال: كذلك الله يخلق ما يشاء. إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون. ويعلّمه الكتاب والحكمة والتورٰة والإنجيل، ورسولاً إلى بني إسرائيل» (آل عمران ٤٢-٤٩)

«واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتَّخذت من دونهم حجـابـاً، فأرسلنـا إليهـا روحنـا فتمثـل لها بشراً سوياً. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال: إنما أنا رسول ربك لأهبَ لك غلاماً زكياً. قالت: أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغياً؟ قال: كذلك قال ربك هو عليّ هينّ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا، وكان أمراً مقضياً» (مريم ١٦ - ٢١).

وإننا نقشعر من تفسير البيضاوي لهذه الآية إذ هو تفسير فاسد. ولكننا رأينا أن نضيفه هنا ليعرف القارىء أفكار أئمة الدين. قال: «قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها، وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا تطهرت. فبينما هي في مغتسلها أتاها جبرائيل متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله لتهيّج شهوتها به فتنحدر نطفتها إلى رحمها».

(٢) ولادته

«فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فآجاءها المخاض إلى جذع النخلة. قالت: يا ليتني متّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً. فنادٰها من تحتها: ألا تحزني، قد جعل ربك تحتك سرياً، وهُزي إليك بجذع النخلة تُساقط عليك رُطباً جنياً، فكلي واشربي وقَرّي عيناً، فإما ترينَّ من البشر أحداً فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً. فأتت به قومها تحمله. قالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هٰرون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً. فأشارت إليه. قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت، وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليَّ يوم وُلدت

ويوم أموت ويوم أُبعث حياً» (مريم ٢٢ - ٣١).

«وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» (المؤمنين ٥٠).

(٣) معجزاته

«ويعلّمه الكتاب والحكمة والتورٰة والإنجيل، ورسولاً إلى بني إسرائيل: إني قد جئتكم بآية من ربكم. إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرئ الاكمه والابرص وأحي الموتى باذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم. إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، ومصدِّقاً لما بين يديَّ من التورٰة، ولأُحِلَّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم، وجئتكم بآية من ربكم، فاتقوا الله واطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم. فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال: مَنْ أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنَّا مسلمون. ربنا آمنا بما أنزلت واتَّبعنا الرسول، فاكتُبْنا مع الشاهدين» (آل عمران ٤٨-٥٣).

وهذه الآيات مع التي تليها هي الوحيدة بين كل آيات القرآن التي تشهد للمسيح بعمل المعجزات. ومع أنها شيء زهيد جداً بالمقابلة مع ما ورد عن معجزاته في الإنجيل، فإن كتب الأحاديث بنَتْ عليها

قصوراً من الخرافات، ونسبت للمسيح معجزات نُجلُّه عن عملها، لأنها لا توافق مقامه الأسنى وغرضه الشريف.

«إذ قال الحواريون: يا عيسى ابن مريم، هل يستطيع ربك أن يُنزل علينا مائدة من السماء؟ قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أنْ قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا، وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله: إني منزّلها عليكم، فمن يكفر بَعْدُ منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» (المائدة ١١٢-١١٨).

والإشارة هنا هي إلى مائدة العشاء الرباني. غير أن المسلمين يفسرونها تفسيراً بعيداً عن الحقيقة (انظر ١كورنثوس ١١: ٢٧ و٢٩-٣١).

(٤) إرساليته ورسالته

«ولقد أرسلنا نوحاً وإبرٰهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتدٍ وكثير منهم فاسقون. ثم قفينا على آثارهم برسُلنا وقفَّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفة ورحمة، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فما

رعـوهـا حق رعـايتها، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وكثير منهم فاسقون» (الحديد ٢٦ و٢٧).

«تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم اللهُ ورفع بعضهم درجـات. وآتينـا عيسى ابن مريم البينّـات وأيدنـاه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات، ولكن اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر. ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد» (البقرة ٢٥٣).

«وقفّينـا على آثـارهم بعيسى ابن مريم مصـدقـاً لما بين يديه من التـورٰة، وآتينـاه الانجيل فيه هدى ونـور، ومصدّقاً لما بين يديه من التورٰة، وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (سورة المائدة ٤٦، ٤٧).

«ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس. أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون» (البقرة ٨٧).

«وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين» (الأنعام ٨٥).

«وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم

مصدّقاً لما بين يديَّ من التورٰة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» (الصف ٦).

«وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» (النساء ١٥٩).

«وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم» (آل عمران ٥٠، ٥١).

(٥) موته

وردت بالقرآن أقوال تؤكد موت المسيح، وغيرها تنكره، نوردها لنبيّن التناقض بينهما الذي حيَّر حتى جمهور المفسرين المسلمين فلم يستطيعوا التوفيق بين الأمرين:

فالآيات التي تؤيد موته كثيرة، هي: «ومكروا (اليهود) ومكر الله، والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم، والله

لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» (آل عمران ٥٤ - ٥٨).

وقد حاول البيضاوي أن يفسر هذه الآية تفسيراً بعيداً عن مدلولها الحقيقي البسيط فقال: «وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء».

«والسلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً» (مريم ٣٣).

وقد سكت البيضاوي سكوتاً تاماً عن تفسير الآية لظهور معناها الغير قابل للتأويل، ويقول بعض المسلمين إن ذلك يشير إلى موت المسيح الثاني «فلما توفَّيتني كنتَ أنت الرقيب» (المائدة ١١٧).

أما الآيات التي تنكر موته، فهي «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً بل رفّعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً» (النساء ١٥٦، ١٥٧).

(٦) صفاته كرسول ونبي
وإنكار لاهوته

«يا أهل الكتاب لا تَغْلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، فآمِنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة. انتهوا خيراً لكم. إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً» (سورة النساء ١٧١).

«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم. إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة و مأوٰه النار، وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلٰثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الـذين كفـروا منهم عذاب أليم. أفـلا يتـوبـون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم؟ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلَتْ من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبيّن لهم الآيات، ثم انظر أنّى يؤفكون» (المائدة ٧٢-٧٥).

«وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم: ءأنت قلت للنـاس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك، ما يكون لي أن أقول ما

ليس لي بحقٍ. إن كنتُ قلتُه فقد علمته. تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك. إنك أنت علام الغيوب. ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم. وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» (المائدة ١١٦، ١١٧).

«ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد، سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. وإن الله ربي وربكم فاعبدوه. هذا صراط مستقيم» (مريم ٣٤-٣٦).

«ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم. إن مَثَل عيسى عند الله كمثَل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون» (آل عمران ٥٨، ٥٩).

«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً» (المائدة ١٧).

«وقالت اليهود عُزيْر ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون» (التوبة ٣٠).

«ولما ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون، وقالوا: ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون. إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملئكة في الأرض يخلُفُون. وإنه لعِلْمٌ للساعة، فلا تمترُنَّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم. ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين. ولما جاء عيسى بالبيّنات قال: قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله واطيعون. إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه. هذا صراط مستقيم» (الزخرف ٥٧-٦٤).

«وإن منهم لفريقاً يلوُن ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» (آل عمران ٧٨ و٧٩).

هذه هي النصوص الواردة في القرآن بخصوص حياة المسيح، وهي التي صارت أساساً لجملة أحاديث إسلامية وُضعت بعد القرآن بزمن، وأسهبت في وصف المسيح وأعماله وحياته بكيفية أتم، لولا بعض الخرافات المنقولة عن أرباب الأوهام وصغار الأحلام.

المسيح في الحديث

للحديث عند المسلمين شأن عظيم، فالذي يظهر في القرآن متناقضاً أو غير موافق للمعقول حسب الظاهر (سواء كان من القضايا الفقهية أو الحقائق التاريخية) يوفّقه الحديث ويجعله قريباً من الأفهام. فالحديث في نظر المسلم غير ما هو في نظر المسيحي.

يحتوي الحديث الإسلامي على ما قاله محمد أو أمر به أو رخّص فيه، وأقوال أصحابه وأعمالهم. وقلما يوجد مذهب إسلامي يعتبر القرآن القانون الوحيد للإيمان والأعمال، أو المرجع الثقة الوحيد لأخبار الأنبياء الأولين، ولذلك إذا أردنا أن نحصل على وصف إسلامي تام لربنا يسوع المسيح يجب أن نرجع إلى الحديث. قال العلامة جولدزير: «الحديث هو من أصول الدين الإسلامي، فإن المسلمين قبل انتهاء القرن الأول للهجرة وضعوا مبدأ مهماً في قولهم إن «السنّة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة» (الدريمى يحيي بن كنيف - خطيب بغدادي) ثم أخذت السنّة تزداد سلطاناً عاماً فعاماً مع تقدم القرون.

ولا جدال في أن بعض الأحاديث الواردة عن يسوع المسيح نطق بها محمد نبي العرب أمام صحابته وأنصاره وأتباعه ولم تُسجل في

القرآن، والبعض الآخر نُسبت إليه، وهي في الحقيقية أقوال ابتدعها أو حرّفها عن أصلها بعض النصارى الذين اعتنقوا الإسلام. وبقولنا هذا لا نقصد أن نرمي الحديث الإسلامي بالبهتان، لأن علماء الإسلام لم تتفق كلمتهم للآن على صحة مسند كل حديث أو صدق كل ما جاء فيها. ويؤكد لنا المستشرق جولدزير ببراهين عديدة أن جزءاً كبيراً من الأحاديث لا يُستهان بجملتها قد ابتدعها بعض الذين جاءوا بعد محمد لغايات شخصية أو دينية أو سياسية، وتأييداً لذلك قال أحد علماء الهند الأعلام الشيخ مولوي شيراغ علي: «إن كثيرين قد أساءوا إلى اسم محمد بإسنادهم إليه أكاذيب وأوهاماً مستحيلة ليؤيدوا باطلاً أو ليدعموا حاكماً ظالماً أو لينالوا مطمعاً أو ليصلوا إلى غاية دنيئة، دون أن يراعوا في تلفيقاتهم الذوق والعقل السليم. وإني قلما أقتبس شيئاً من الأحاديث، حيث أن ليس عندي اعتقاد بصحتها، فإنها غالباً غير مؤيدة بأسانيد صحيحة، وعلى كل فانها متعصبة» (من كتابه الإصلاح الاجتماعي والسياسي في المملكة العثمانية).

وأوسع الناس قولاً في الأحاديث المنسوبة إليه هو أبو هريرة، وسُمي هكذا لمحبته للهررة، وقد انضم إلى صحابة النبي سنة ٦٢٩م وعاش معه واشتهر بالحفظ وسلامة الذاكرة. ومع كل ذلك لا يزال بعض علماء المسلمين يرتابون في كثير من الأحاديث المنسوبة إليه، زعماً منهم

أن كثيراً منها قد وُضع بعده بزمن ونُسب إليه زوراً.

والـذي يقـرأ أقـوال المفسرين المعـول عليهم عما جاء في القرآن بخصوص المسيح، أو نتيجة أبحاثهم المبنية على الأحاديث، كما سترى في الفصلين التاليين، يجد أن ليس من الهيّن عليه أن يجمع من أقوال محمد نفسه، أو من أقوال الذين جاءوا بعده، وصفاً تاماً للمسيح بدون تناقض أو تباين. ويليق بنا قبل الدخول في الفصل الثالث أن نذكر عبارة عن السر وليم مور خالية من الأغراض، ويسلم بها كل مسلم عاقل. قال: «أدَّى جامعو الأحاديث خدمة للإسلام والتاريخ لا ينكر قيمتها إلا كل مكابر معاند، لأن طوفان الحديث الذي انسكب من كل صقع وناد من جميع أنحاء السلطنة الإسلامية كان يمكن أن يتألف منه مئات وألوف من المجلدات المتضاربة المصادر، المختلفة المقاصد. فلولا اجتهاد جامعي الحديث وتمحيصهم ما وصلت إليه أيديهم جهد الـطاقـة لوجـد لدى المسلم بحـر من الحديث مختبط الأمواج ممتزج الأغراض، بين صدق وكذب وحق وباطل، بحيث يختلط عليه الحابل بالنابل، فلا يستطيع التمييز بين غثّه وثمينه! فلما اهتم علماء الإسلام بجمع الحديث وترتيبه أعطوه مقاماً مهماً في القرن التالي للهجرة لما حواه من الحقائق والمبادىء. ولكن كل هذا لم يمنع دخول الحديث المشحون بالغلو والإغـــراق على عقـول الكثـيرين، واعتبـارهم إياه في مقـام

الصحيح. وقد أقرَّ الجامعون أنفسهم أنه كان شائعاً في ذلك الحين ألوف وعشرات ألوف الأحاديث التى ليس لها ظل حقيقة. فيمكننا والحالة هذه أن نشبّه جملة الأحاديث بتمثال نبوخذ نصر الذي رآه في حلمه، خليطاً من الذهب والفضة والحديد والرصاص والخزف، فاختلطت الحقائق المهمة بالأباطيل اختلاطاً يعسر على أي باحث عالم أن يميّز بينهما أو يضع خطاً فاصلاً بين هذا وذاك» (السر وليم مور - حياة محمد الجزء الاول ص ٤٢).

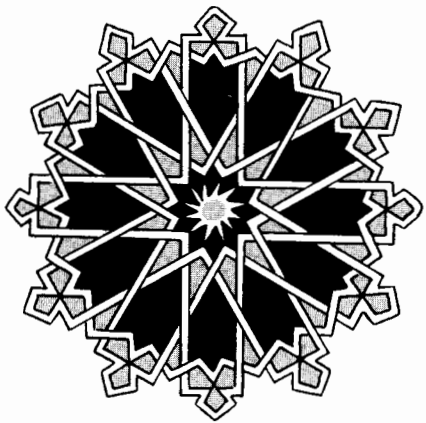

الفصل الثالث

المسيح في كتاب «قصص الأنبياء» من ولادته إلى خدمته الجهارية

اعتمدتُ في هذا الفصل وما يليه على ما ورد في كتاب «قصص الأنبياء» للإمام أبي إسحق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي، المطبوع بمطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر سنة ١٣٢٥ هجرية.

ورُبَّ من يقول: «هل سُهي عليك أن بعض الأئمة من كبار المسلمين يعترضون على مثل كتاب الثعلبي، ويرمونه بأنواع التكذيب لأسباب مجهولة، اللهم إلا إذا كان السبب الرئيسي أن مثل هذا الكتاب المشحون عجائب وغرائب قد صار شوكة في جسدهم ومؤلماً لتفاخرهم العلمي في هذه الأيام، أيام التقدم والارتقاء؟» فأقول: «كلا، بل لي إلمام تام بهذا الموضوع، وإني أسلّم بعدم قبول بعض الخواص لكتاب الثعلبي. لكن لي سؤال: هل الأمة الإسلامية انحصرت في الخواص أصحاب الدبلومات؟ ألا يوجد ألوف بين ملايين من إخوتهم يُسَمّون أناساً عاديين؟ فبالرغم من وجود فئة قليلة

من المسلمين المتنوّرين، لا يزال السواد الأعظم يتمسكون بهذا الكتاب، ويصدقون أغرب حكاياته.

ويجب ألاَّ ينسى القارىء أن كل حديث سنذكره عن الثعلبي قد أيده البيضاوي والزمخشري وغيرهما من العلماء الذين يُستضاء بنبراسهم. وإنّا نبدأ منه بما يأتي:

مولد عيسى، و حمل مريم بعيسى

قال الله تعالى: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» قالت العلماء بأخبار الأنبياء: لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام، ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة، وكان مع مريم في المسجد من المحرَّرين ابن عم لها يُقال له يوسف النجار، وكان رجلاً حليماً نجاراً، يتصدَّق بعمل يده. وكان يوسف ومريم يتولَّيان خدمة المسجد، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كلُّ واحد منهما قلَّته وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء، فيستقيان منه ثم يرجعان إلى المسجد. فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام، وكان أطول يوم في السنة وأشده حراً، نفد ماؤها. فقالت: ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي؟ فقال: إن عندي فضلاً من ماء أكتفي به يومي هذا إلى غد. قالت: ولكني والله ما

عندي ماء. فأخذت قلّتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة، فوجدت عندها جبريل عليه السلام، قد مثّله الله بشراً سوياً. فقال لها: يا مريم، إن الله قد بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً (أي مؤمناً مطيعاً). قال علي بن ابي طالب كرَّم الله وجهه: علمت أن التقي ذو رحمة وخشية، وهي تحسبه رجلاً من بني آدم. قال عكرمة: وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، قالت الحكماء إنما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليه وتقدر على استماع كلامه. ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه. فلما استعاذت منه مريم قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت: أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً؟ قال: كذلك قال ربك هو عليَّ هيّن (الآية) فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها. فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت عيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت إلى المسجد.

قال السهيلي: «أحصنت فرجها» يريد فَرْج القميص، أي لم يتعلق بثوبها ريبة فهي طاهرة الأثواب. وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل. فلا يذهبن فكرك الى غير هذا. وهذا من لطيف الكناية، لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً وألطف إشارة وأحسن عبارة

من أن يريد ما يذهب إليه وَهم الجاهل، لا سيما والنفخ من الروح القدس بأمر القدوس، فأضف القدس إلى القدوس ونزّه المقدسة مريم عن الظن الكاذب والحدس» (حياة الحيوان الكبرى للدميري جزء ٢ ص ٣٦٠).

وقال السدي وعكرمة إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة، فاذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت الى المسجد. فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً، أي مشرقاً لأنه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة.

وقال الحسن: انما اتخذت النصارى المشرق قِبْلة لأن مريم انتبذت مكاناً شرقياً، فاتخذت فضربت من دونهم حجاباً أي ستراً. وقال مقاتل: جعلت الجبل بينها وبين قومها. فبينما هي كذلك في تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشَّرها بعيسى ونفخ في جيب درعها. قال وهب: ولما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يُقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد، وكان لخدمته فضل عظيم، وكانا يتولَّيان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره، وكان لا يُعلم في زمانهما أشد

اجتهاداً أو عبادة منها. وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار، فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه، ولم يدر ماذا يصنع من أمرها. وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة.

قال وهب: فلما وُلد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها، ففزعت الشياطين ولم يدروا لِمَ ذلك، فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس (لعنه الله وغضب عليه) وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء، فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار. فلما رأى إبليس اجتماعهم فزع من ذلك، ولم يرهم جميعاً منذ فرَّقهم قبل تلك الساعة، وإنما كان يراهم أشتاتاً. فسألهم فأخبروه أنه حدث في الأرض حدث، فأصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لأنهم كانوا يدخلون في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم، فيظنون أنها هي التي تكلمهم. فلما أصابها هذا الحدث صغَّرها في أعين الناس واذلَّها، وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا. واعلم إنَّا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الأرض وقلبنا البحار وكل شيء، فلم نزدد بما رأينا إلا جهلاً. فقال لهم إبليس: «فما يكون إلا أمر عظيم، فكونوا مكانكم». فطار إبليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات، فمرَّ فيهن بالمكان الذي وُلد فيه عيسى. فلما رأى الملائكة محدقين بذلك

المكان علم أن ذلك الحدث فيه، فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه، قال فاذا رؤوس الملائكة ومناكبهم إلى السماء. ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض، فإذا أقدام الملائكة راسية. فأراد أن يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك. يدل حديث النبي(صلعم) «كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يُولد، إلا عيسى ابن مريم عليه السلام، حجبه الله تعالى عنه، فذهب يطعن فطعن في الحجاب. فقال الكلبي: احتمل يوسف النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها، ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوماً، فكلّمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه. فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالحين. فقالوا: «يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً فظيعاً! يا أخت هٰرون!».

قال قتادة: كان هٰرون رجلاً صالحاً من أتقياء بني إسرائيل وليس بهرون أخي موسى، وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل، كلهم يسمى هٰرون. وقال وهب: كان هٰرون من أفسق بني إسرائيل وأظهرهم فساداً، فشبهّوها به: ما كان أبوك عمران امرأ سوءٍ و ما كانت أمك بغياً (أي زانية) فمن أين لك هذا الولد؟ فأشارت لهم مريم إلى عيسى: أن كلّموه فغضبوا وقالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال وهب: فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها

اليهود وقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أُمرت بها. فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن اربعين يوماً: إني عبد الله آتاني الكتاب (الآية) فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى، وإلزاماً للحجة عليهم. وقال عمرو بن ميمون إن مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها، فلما تكلم عيسى تركوها. قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان، والله اعلم.

خروج مريم وعيسى إلى مصر

قال الله تعالى: «وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين». قالوا: كان مولد عيسى بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس، وإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانين ملوك الطوائف. وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف، وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم، وكان الملك عليها من قِبَل قيصر هيرودس. فلما عرف هيرودس ملك بني إسرائيل خبر المسيح قصد قتله، وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم. فبعث الله إلى يوسف النجار مَلَاكاً أخبره بما أراد هيرودس، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر. وأوحى الله إلى مريم أن الحقي بمصر فإن هيرودس إن ظفر بابنك قتله! فإذا

مات هيرودس فارجعي إلى بلادك. فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر، وهي الربوة التي قال الله تعالى: «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين» (ذكر ابو اسحق الثعلبي في التفسير«ذات قرار و معين» قال عبد الله بن سلام هي دمشق، وقال ابو هريرة هي الرملة، وقال قتادة هي بيت المقدس، وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء، وقال أبو زيد هي مصر، وقال الضحاك هي عرصة دمشق، وقال ابو العليا هي إيلياء، وقال القرار الأرض المستوية والمعين الماء الطاهر).

فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تمَّ لعيسى اثنتا عشرة سنة. وُروي عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال: لما وُلد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر، فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتّاب وأقعدته بين يدي المؤدّب: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقالها عيسى. فقال المؤدب: قل ابجد، فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال: هل تدري، ما أبجد؟ فعلاه بالقضيب ليضربه، فقال: يا مؤدّب لا تضربني إن كنت تدري وإلا فاسألني حتى أفسر لك. فقال له المؤدب: فسِّره لي. فقال عيسى الألف لا إله إلا الله، والباء بهجة الله، والجيم جلال الله، والدال دين الله. هوز الهاء هي

جهنم وهي الهاوية، والواو ويل لأهل النار، والزاي زفير أهل جهنم، وحطي حط الخطايا عن المستغفرين، وكلمن كلام غير مخلوق ولا مبدل لكلماته، وسعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء، وقرشت تقرشهم حين تحشرهم اي تجمعهم. فقال المؤدب لأمه: أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم، ولا حاجة له الى المؤدب. قال رسول الله (صلعم) ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم، فقال له المعلم: قل بسم الله، فقال عيسى وما بسم الله؟ قال المعلم: ما أدري: قال عيسى الباء بهاء الله والميم مملكته جل وعلا، والله أعلم.

صفة عيسى وحِلْيَتُهُ

قال كعب الأحبار: كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض، ما هو سبط الرأس، ولم يدهن رأسه قط. وكان عيسى يمشي حافياً، ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً إلا قوت يومه. وكان حيثما غابت الشمس صفَّ قدميه وصلى حتى يصبح. وكان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وكان يخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدَّخرون لغدٍ، وكان يمشي على وجه الماء في البحر، وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، حريصاً على عبادة الله. وكان سياحاً في الأرض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء، والله اعلم.

الآيات والمعجزات
التي ظهرت لعيسى في صباه الى ان نُبِّىء

قال وهب: كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر، أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر. وكانت دار ذلك الدهقان تأوي إليها المساكين، فسُرق للدهقان مال من خزانته، فلم يتّهم المساكين. فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان. فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها: يا أماه أتحبين أن أدلّه على ما له؟ قالت: نعم يا بني. قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره. فقالت مريم للدهقان ذلك، فجمع له المساكين في داره. فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد، فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له: قم به. فقال الأعمى: أنا أضعف من ذلك. فقال له عيسى: كيف قويت على ذلك البارحة؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام. فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى كوة الخزانة، فقال عيسى للدهقان: هكذا احتالا على مالك البارحة، لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه! فقال الأعمى والمقعد: صدق والله. فردَّا على الدهقان ماله كله، فأخذه الدهقان ووضعه في خزانته، وقال: يا مريم خذي نصفه. فقالت: إني لم أُخلق لذلك. قال الدهقان: فأعطيه لابنك.

قالت: هو أعظم مني شأناً. ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له، فصنع له عيداً جمع عليه أهل مصر كلهم، وكان يطعمهم شهرين. فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام، ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب. فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار، فأمرَّ عيسى يده على أفواهها وهو يمشي، فكلما أمرَّ يده على جرة امتلأت شراباً، حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة.

تعليقنا: لعل هذه القصة تشير الى قصة عرس قانا الجليل الواردة في إنجيل يوحنا الأصحاح الثاني. وما أعظم الفرق بين الروايتين.

وقال السدي: كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا، ورفعوا لك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا. فينطلق الصبي إلى أهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء. فيقولون له: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى. فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر. فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم فقالوا: ليسوا ههنا. فقال لهم: فما في البيت؟ قالوا: خنازير. قال: كذلك يكونون! ففتح عنهم فإذا هم خنازير.

تعليقنا: وما ذنب الصبيان الأبرياء؟!

ففشا ذلك في الناس، فهمَّت به بنو إسرائيل. فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر.

تعليقنا: مع أن المحقَّق أن الهروب كان وهو أقل من سنتين خوفاً من هيرودس.

وذكر السدي آية أخرى، قال: لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الأرض، إذ جاءا بني إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما، وكان ملك ذلك الوقت جباراً عنيداً. فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه حزيناً؟ فقالت لها: لا تسأليني. فقالت: أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي. فقالت: إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده، فإن لم يفعل عاقبه. واليوم يومنا، وليس عندنا سعة. قالت مريم: فقولي له لا يهتم له بشيء، فإنه قد أحسن إلينا. وإني آمر ابني أن يدعو له فيكتفي ذلك. ثم قالت: مريم لعيسى، فقال: إن فعلت ذلك يقع شر، فقالت: لا تبالي لأنه أحسن إلينا وأكرمنا. قال عيسى: فقولي له إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمْني. ففعل ذلك، فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحماً ومرقاً، وماء الخوابي خمراً لم ير الناس مثله قط. فلما جاء الملك أكل. فلما شرب سأل: من أين هذا

الخمر؟ قال له: من أرض كذا وكذا. قال الملك: فإن خمري قد أُتي بها من تلك الأرض وليست مثل هذه. فقال له: من أرض أخرى. فلما خلط على الملك وشُبّه عليه قال: أخبرني على الحق. قال فأنا أخبرك. عندي غلام ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وإنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً. وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق إليه، فقال الملك إن رجلاً دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً ليستجاب له حتى يحيى ابني، فدعا عيسى وكلّمه في ذلك، فقال له عيسى: لا تفعل، لأنه إن عاش وقع شر. فقال الملك: لا أبالي بعد أن أراه. قال عيسى: إن احييتُه تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء، قال نعم. فدعا الله تعالى فعاش الغلام. فلما رآه أهل مملكته قد عاش، تبادروا بالسلاح وقالوا: أكلنا هذا، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه! فقتلوهما وذهب عيسى وأمه.

تعليقنا: وأية معجزة ذكرها له الإنجيل نتج عنها شر ووبال كهذه؟! وهل الله جل وعلا خادم للرغائب الشريرة؟

ذكر وهب آية أخرى، قال: بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم، فاطّلع الناس عليه فاتهموه به، فأخذوه وانطلقوا به إلى

القاضي، فقالوا له: هذا قتل هذا. فسأله القاضي، فقال عيسى: لا أدري من قتله، وما أنا بصاحبه. فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام، فقال لهم: ائتوني بالغلام. فقالوا له: ما تريد منه؟ قال: أريد أن أساله من قتله. قالوا: وكيف يكلمك وهو ميت؟ فأخذوه وأتوا به إلى مقتل الغلام، فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى، فقال له عيسى: من قتلك؟ قال: قتلني فلان (على الذي قتله) فقال بنو اسرائيل: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم. قالوا: فمن هذا الذي معه؟ قال: قاضي بني إسرائيل. ثم مات الغلام من ساعته، فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس. فقالت له أمه: يا بني ألم أنْهك عن هذا؟ فقال لها: إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين.

وذكر عطاء آية أخرى، قال: سلَّمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتّاب إلى أعمال شتى، فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه، فاجتمع عنده ثياب مختلفات. فعرض للرجل سَفَرٌ، فقال لعيسى: إنك تعلَّمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام. هذه ثياب مختلفات الألوان، وقد علَّمت كل واحد منها على اللون الذي يُصنع به، فأحب أن تكون فارغاً منها وقت قدومي. ثم خرج، فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد، وأدخل فيه جميع الثياب. وقال لها: كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك. فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد، فقال: يا

عيسى، ما فعلت؟ قال: فرغت منها قال: أين هي؟ قال: في الجب. قال: كلها. قال: نعم. قال: كيف تكون كلها في جب واحد؟ لقد أفسدت تلك الثياب! قال: قم فانظر. فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر، إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها. فجعل الصباغ يتعجب، وعلم أن ذلك من الله عز وجل. فقال الصباغ للناس: تعالوا انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام، فآمن به هو وأصحابه، وهم الحواريون والله عز وجل أعلم.

تعليقنا: وما الضرورة لمخالفة السير الطبيعي في دائرة الأشغال الاعتيادية؟ وهل هذا يوافق مبدأ الله الاقتصادي في سائر أعماله؟

وذكر الدميري في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» آية طفيفة أخرى عملها يسوع وهو غلام قال: «رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال بينما عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضاً، فقال عيسى ليحيى: قل تلك الكلمات: حنة ولدت يحيى، ومريم ولدت عيسى. الأرض تدعوك يا ولد. أخرج يا ولد. قال حماد بن زيد، فما يكون في الحي امرأة ماخض فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدَّقه، وكانا ابني خالة، فكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر، ثم قُتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام» (حياة الحيوان

الكبرى للدميري جزء ٢ ص ٧٨).

رجوع مريم وعيسى إلى بلادهما بعد موت هيرودس

قال وهب: لما مات هيرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هيرودس، ويأمُرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام. فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الجليل في قرية يقال لها ناصرة، وبها سُميت النصارى. وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم، وفي اليوم علم شهر، وفي الشهر علم سنة. فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوي المرضى والعميان والمجانين، ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم، وكانوا يموتون من خوفه. ففعل ما أمره به، فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به، وكثر أتباعه وعلا ذكره، وربما اجتمع عليه من المرضى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً، فمن أطاق منهم أن يمشي إليه مشى إليه، ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام. وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان، ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى: «اللهم أنت الإله الذي في السماء والإله الذي في الأرض، لا إله فيهما غيرك. وأنت ملك مَنْ في السموات وملك من في

الأرض لا ملك فيهما غيرك. وأنت حكم من في السموات وحكم من في الأرض لا حكم فيهما غيرك. قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء. أسألك بأسمائك الكرام، إنك على كل شيء قدير».

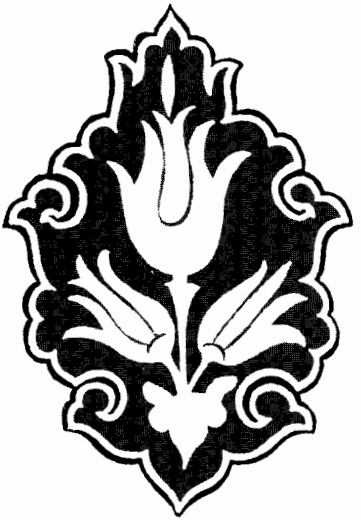

الفصل الرابع

المسيح في كتاب «قصص الأنبياء» من خدمته الجهارية إلى مجيئه ثانية

قبل أن نعود إلى أقوال الثعلبي مرة أخرى يلزم أن نوضح موقف القرآن من مسألة موت المسيح، فإنه في بعض الآيات يذكر موته بكل صراحة، وفي غيرها ينفيه تمام النفي. وليتخلص المفسرون من تهمة التناقض الواضحة ذهبوا إلى أنه مات ثلاث ساعات لكنه لم يُصلب! وأضافوا إلى ذلك قولهم إنه عند مجيئه الثاني يموت مرة أخرى. كأنهم يقرّون بضعف طبيعته البشرية فيجعلونها عرضة لموت ثان عند مجيئه في اليوم الأخير، وبذلك يخالفون كل تعاليم العهد الجديد القائلة: «إن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، وليس للموت بعد سلطاناً عليه».

والآن نعود بك إلى الحديث عن السيد المسيح مما جاء في كتاب الثعلبي:

قصة الحواريين

قال الله تعالى: «فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر، قال: من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار لله. آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون». وقال الله عز وجل: «وإذ أوحيت الى الحواريين» أي الهمتهم ووفّقتهم أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون. اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه، وكانوا اثني عشر رجلاً، واسماؤهم شمعون الصفا المسمى بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه، وفيلبس وبرتولوماوس، وتوما ومتى العشار، ويعقوب بن حلفا وليا (لاوي) الذي يُدعى تداوس، وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام. واختلف العلماء فيهم لِمَ سُموُّا بذلك.

لاحظ أنهم لم يُدعوا في القرآن رسلاً بل حواريين، وهي كلمة مشتقة من أصل حبشي معناه أرسل. وقال البيضاوي إنها مشتقة من كلمة «حور» اي أبيض، وذلك لخلوص نيّتهم ونقاء سريرتهم. وقال آخرون سُمُّوا كذلك لأنهم كانوا يلبسون ثياباً بيضاً أو يصبغونها بالأبيض.

قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك، فمرَّ بهم عيسى فقال لهم: ما تصنعون؟ فقالوا: نصطاد السمك. فقال لهم: ألا

تمشون معي حتى نصطاد الناس؟ قالوا له: وكيف ذلك؟ قال: ندعو إلى الله. قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، قالوا: فهل يكون أحد من الأنبياء فوقك؟ قال: نعم. النبي العربي، فاتَّبعه أولئك وآمنوا به.

تعليقنا: وما المناسبة لذكر من فوقه في هذا التعارف؟ وهل كان إيمانهم لمجرد قوله لهم تعالوا دون أن يروا منه ما يدل على صدق دعواه؟

قال السدي كانوا ملاَّحين، وقال ابن ارطاة: كانوا قصَّارين سُموُّا بذلك لأنهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيّضونها. اخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب، قال: الحواريون اثنا عشر رجلاً اتبعوا عيسى، فكانوا إذا جاعوا قالوا: يا روح الله جُعْنا، فيضرب بيده إلى الأرض سهلاً كان أو جبلاً، فيخرج لكل إنسان رغيفين فيأكلهما. وإذا عطشوا قالوا: يا روح الله عطشنا، فيضرب الأرض سهلاً كان أو جبلاً، فيخرج الماء فيشربون. فقالوا: يا روح الله، مَنْ أفضل منا؟ إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا أسقيتنا، وآمنَّا بك واتَّبعناك؟ قال: أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه. قال: فصاروا يعملون الثياب بالكراء.

قال ابن عون: صنع ملك من الملوك طعاماً فدعا الناس إليه، وكان عيسى على قصعة، فكانت القصعة لا تنقص. فقال له الملك: من

أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم. قال الملك: أني أترك مُلْكي وأتبعك. فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون، وقيل هو الصباغ وأصحابه، وقد مضت القصة.

قال الضحاك: سُمُّوا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال عبد الله بن المبارك: سُمُّوا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها. وأصل الحور عند العرب شدة البياض، ومنه الأحور والحور. وقال الحسن: الحواريون الأنصار. وقال قتادة: هم الذين تصلح لهم الخلافة. وقال النبي صلعم: لكل نبي حواري، وحواري الزبير إلى آخر ما جاء عن ذلك.

خصائص عيسى ومعجزاته

١ - منها تأييد الله إياه بروح القدس. قال «وأيَّدناه بروح القدس» ونظيرها في سورة المائدة «إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك، إذ أيدتك بروح القدس». واختلفوا فيه. قال الربيع عن أنس: هو الروح الذي نفخ الروح. أضافه سبحانه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً، نحو بيت الله وناقة الله. والقدس هو الله تعالى، يدل عليه قوله تعالى «وروح منه» «فنفخنا فيه من روحنا».

وقال آخرون: أراد بالقدس الطهارة، أي الروح الطاهرة. وسُمي عيسى عليه السلام «روحاً» لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول، ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى.

تعليقنا: ما أهم هذا التفسير لو تدبره كل مسلم وقبله مؤمناً بالذي أرسله روحاً منه!

وقال السدي وكعب: روح القدس جبريل، وتأييد عيسى عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه، يعينه ويسير معه حيثما سار، إلى أن صعد به إلى السماء. وأي التفسيرين أقرب لمدلول اللفظتين «منا» و«منه».

وقال سعيد بن جبير، وعبيد بن عمير: هو اسم الله الأعظم، وبه كان يحيي الموتى ويري الناس العجائب.

تعليقنا: ولماذا لم يقدر غيره من الأنبياء أن يستعمل هذا الاسم الأعظم؟ أليس لأن المسيح قال عن نفسه «أنا في الآب والآب فيَّ».

٢ - ومن خصائص تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة، وكان يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى: «وإذ علمتك الكتاب» أي الخط. قيل الخط عشرة أجزاء، فتسعة منها لعيسى، والحكمة والتوراة والإنجيل. ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه «إني قد جئتكم

بآية من ربكم، إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله» وقال تعالى: «وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني». فكان يصوّر من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله. ولم يخلق غير الخفاش، وإنما خص بالخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً، فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً ويلد ويحيض ويطير (قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميَّز فعل الخلق عن فعل الله تعالى، وليُعلم أن الكمال لله عز وجل! لم يذكر الإنجيل له آية لم تكن ذات فائدة ولزوم محتمٍّ كإشباع خمسة آلاف شخص بخمس خبزات، أو فتح عيني أعمى. أما خلقه الطير من الطين فيُعدُّ لعباً وإسرافاً من غير ضرورة).

٣ - ومن خصائصه إبراء الأكمه والأبرص، كما قال تعالى: «وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني» والابرص الذي به وضح، والأكمه الذي وُلد اعمى ولم ير ضوءاً قط. وإنما خصَّ هذين الاسمين لأنهما أعييا الأطباء، وكان الغالب على زمان عيسى الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك. ويروى أن عيسى عليه السلام مرَّ بدير فيه عميان، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء قوم طُلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم. فقال لهم: ما دعاكم إلى هذا؟ قالوا: خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى. فقال: أنتم العلماء والحكماء والأحبار

والأفاضل، امسحوا أعينكم بأيديكم، وقولوا بسم الله. ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون (اقرأ يوحنا ٩).

٤ - ومنها إحياؤه الموتى باذن الله تعالى «وإذ تخرج الموتى بإذني» وأحيا منهم أمواتاً، منهم العازر وكان صديقاً له، فأرسلت أخته الى عيسى إن أخاك العازر يموت، فأتاه، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام. فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقالوا لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة. فقال عيسى: اللهم ربَّ السموات السبع والأرضين السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرتهم أني أحيي الموتى بإذنك، فأحْي العازر. فقام العازر وخرج من قبره وبقي وولد له. (**ملحوظة**: اقرأ القصة كما وردت في انجيل يوحنا ص١١).

ومنها ابن العجوز، وكانت القصة فيه أن عيسى مرَّ في سياحته ومعه الحواريون بمدينة، فقال: إن في هذه كنزاً، فمن يذهب يستخرجه لنا؟ فقالوا: يا روح الله، لا يدخل هذه القرية غريب إلا قتلوه. فقال لهم عيسى: مكانكم حتى أعود إليكم. فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب، فقال: السلام عليكم يا أهل الدار. غريب أطعموه. فقالت له امرأة عجوز: أما ترضى أدعك لا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول أطعموني؟ فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفتى ابن

العجوز، فقال له عيسى: أضفْني ليلتك هذه. فقال له الفتى مثل مقالة العجوز. فقال له عيسى: أمّا إنك لو فعلت ذلك زوّجتك بنت الملك! فقال له الفتى: إمّا أن تكون مجنوناً وإما أن تكون عيسى بن مريم. قال: أنا عيسى. فأضافه وبات عنده. فلما أصبح قال له: اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك، فإنه سيأمر بضربك وإخراجك. فمضى الفتى حتى دخل على الملك، فقال له جئت إليك أخطب ابنتك، فأمر بضربه. فضُرب وأُخرج. فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر، فقال: إذا كان غد فاذهب إليه واخطب ابنته، فإنه ينالك بدون ذلك. ففعل الفتى ما أمره عيسى، فضربه دون ذلك الضرب الأول. فرجع إلى عيسى فأخبره. فقال ارجع إليه فانه سوف يقول لك: أنا ازوّجك إياها على حكمي، وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد، فقل له أفعل ذلك. فإذا بعث معك أحداً فاخرج به فإنك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئاً. ثم أنه دخل على الملك فخطب، فقال تَصْدُقها بحكمي، فقال: وما حكمك؟ فحكم بالذي سماه عيسى. فقال: نعم رضيت. ابعث من يقبض ذلك. فبعث معه رجالاً، فسلم إليهم ما سأله الملك. فتعجب الناس من ذلك، فسلم إليه الملك ابنته. فتعجب الفتى من ذلك وقال: يا روح الله، تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة! فقال له عيسى: إني آثرت ما يبقى على ما يفنى. فقال الفتى: أنا أيضاً أدَعْه

وأصحبك. فتخلَّى عن الدنيا واتَّبع عيسى، فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم: هذا الكنز الذي قلتُ لكم عنه، فكان معه ابن العجوز إلى أن مات. ومرَّ به وهو ميت على سرير، فدعا عيسى الله، فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال، ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي ووُلد له. (**ملحوظة**: اقرأ هذه القصة في انجيل لوقا ٧: ١١-١٦ وقابل بين جلال وهيبة المشهد وسمو المقصد في الانجيل وبين ما جاء في هذا الحديث من الألاعيب الصبيانية).

ومنها ابنة العشار، رجل كان يأخذ العُشر، قيل له: أتحييها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت ووُلد لها (**ملحوظة**: اقرأ قصة إحياء ابنة يايرس في لوقا ٨: ٤٩-٥٦).

ومنها سام بن نوح، قال له الحواريون (وهو يصف لهم سفينة نوح): لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك، فقام وأتى تلاً فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب، وقال: هذا قبر سام بن نوح. إن شئتم أحييته لكم. قالوا: نعم. فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بعصاه وقال: اِحْي باذن الله! فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: أقد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكنني دعوتك باسم الله الأعظم. قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان. وكان

سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب، ثم أخبرهم بخبر السفينة. فقال له عيسى: مت! فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك. وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام.

تعليقنا: وهل من يقدر أن يحيي ساماً غير قادر أن يصف السفينة لحوارييه؟ وهل هي مسألة مهمة بهذا المقدار تستدعي إقامة شخص مات منذ ألوف الأعوام؟ ومع ذلك فهذه قدرة لم تكن لغيره من بني آدم أجمعين، فلماذا ميَّزه الله عنهم، وجعل له وحده هذه القدرة الفائقة؟

ومنها عُزيْر عليه السلام، قالوا لعيسى عليه السلام: أحْيِهِ وإلا أحرقناك بالنار! وجمعوا له حطباً كثيراً من حطب الكرم، وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة، فوجدوا قبر عزير مكتوباً على ظهره اسمه، فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره، فرجعوا إلى عيسى فأخبروه، فناولهم إناءٍ فيه ماء وقال لهم: انضحوا قبره بهذا الماء. ففعلوا، فانفتح الطبق، فأتوا به عيسى وهو في أكفانه (والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء). ثم أنه نزع ثيابه عنه، ثم جعل ينضح على جسده الماء، ولحمه وشعره ينبت، ثم قال: احْيَ يا عزير بإذن الله تعالى، فإذا هو جالس. وكل ذلك تراه أعينهم. فقالوا لعزير: ما تشهد لهذا الرجل؟ (يعنون عيسى) فقال: أشهد أنه عبد

الله ورسوله. فقالوا: يا عيسى ادْعُ لنا ربك ليبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حياً. فقال عيسى: ردُّوه الى قبره. فعاد ميتاً. فآمن بعيسى ابن مريم من آمن وعاند من عاند.

ونختم معجزات إحياء الموتى بالمعجزة التالية المذكورة في كتاب«حياة الحيوان الكبرى» للدميري الجزء الأول ص ٣٩٦ «ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلاً من بني إسرائيل اسمه إسحق، في زمن عيسى ابن مريم عليهما السلام، كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها، وكان مقترناً بها فماتت. فلزم قبرها ومكث زماناً لا يفتر عن زيارته، فمرَّ به عيسى يوماً وهو على قبرها يبكي، فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك يا إسحق؟ فقال له: يا روح الله، كانت لي ابنة عم وهي زوجتي، وكنت أحبها حباً شديداً، وإنها قد تُوفّيت وهذا قبرها، وإني لا أستطيع الصبر عنها، وقد قتلني فراقها. فقال له عيسى: أتحب أن أحييها لك بإذن الله، قال: نعم يا روح الله. فوقف عيسى على القبر وقال: قُمْ يا صاحب هذا القبر بإذن الله! فانشقَّ القبر وخرج منه عبد أسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول «لا إله إلا الله. عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله» فقال إسحق: يا روح الله وكلمته، ما هذا القبر الذي فيه زوجتي وإنما هو هذا. وأشار الى قبر آخر. فقال عيسى للأسود: ارجع إلى ما كنت فيه. فسقط ميتاً، فواروه في قبره. ثم وقف على القبر الآخر

وقال: قم يا ساكن هذا القبر بإذن الله. فقامت المرأة وهي تنثر التراب عن وجهها. فقال عيسى: أهذه زوجتك؟ قال: نعم يا روح الله. قال: خذها بيدها وانصرف. فأخذها ومضى، فأدركه النوم. فقال لها: إنه قد قتلني السهر على قبرك، وأريد أن آخذ لي راحة. قالت: افعل. فوضع رأسه على فخذها ونام، فبينما هو نائم إذ مرَّ عليها ابن الملك، وكان ذا حُسن وجمال وهيئة عظيمة راكباً على جواد حسن. فلما رأته هَوِيتْهُ وقامت إليه مسرعة، فلما نظرها وقعت في قلبه فأتت إليه وقالت: خذني. فأردفها على جواده وسار. فاستيقظ زوجها فلم يرها. فقام يطلبها وقصَّ أثر الجواد فأدركهما. وقال لابن الملك: أعطني زوجتي وابنة عمي. فقالت: ما أعرفك، وما أنا إلا جارية ابن الملك! فقال له ابن الملك: أفتريد أن تفسد جاريتي؟ فقال: والله إنها لزوجتي، وإن عيسى بن مريم أحياها لي بإذن الله بعد أن كانت ميتة. فبينما هم في المنازعة إذ مرَّ عيسى صلى الله عليه وسلم، فقال اسحق: يا روح الله، أَمَا هذه زوجتي التي أحييتها لي بإذن الله؟ قال: نعم. فقالت: يا روح الله إنه يكذب، وإني جارية ابن الملك. وقال ابن الملك: هذه جاريتي. قال عيسى: ألست التي أحييتُك بإذن الله. قالت: لا والله يا روح الله قال: فرُدي علينا ما أعطيناك. فسقطت ميتة. فقال عيسى: من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافراً ثم أحياه وأماته مسلماً فلينظر الى ذلك الأسود، ومن أراد أن ينظر إلى هذه. وإن

إسحق الإسرائيلي عاهد الله تعالى أن لا يتزوج أبداً، وهام على وجهه في البراري باكياً.

تعليقنا: هل يعقل على علم الله السابق أن يُميت كافراً لينجيه بطريق الغلط ويرده الى الايمان ويميت مؤمنة ثم يحييها بإذنه ليميتها كافرة؟ وما الدرس الذي استفاده الأحياء من هذه المناورة الغير مطابقة لحكمة الباري ورحمته؟

٥ - ومنها **إخباره عن الغيوب**، قال الله عز وجل أخباراً عنه «وأنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم» قال الكلبي: لما أبرأ عيسى الأكمه والأبرص وأحيا الموتى، قالوا هذا ساحر. ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندَّخر فنؤمن به، فكان يخبر الرجل بما يأكل في غدائه وبما يأكل في عشائه.

٦ - ومنها **مشيه على الماء**. يُروى أنه خرج في بعض سياحاته ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى. فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله بصحة ويقين، فمشى على وجه الماء. فقال القصير: بسم الله بصحة ويقين، فمشى على وجه الماء فداخله العجب، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء. قال: فانغمس في الماء. فاستغاث بعيسى، فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له: ما قلت يا قصير؟ فأخبره بما خامر خاطره. فقال

له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك فيه الله فمقتك الله على ما قلت، فتُبْ إلى الله مما قلت. فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها.

وحدَّثنا الإمام أبو منصور الخمشاوي بإسناده، عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلعم قال: لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا. قالوا: يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء. قال: نعم، ولو ازداد خوفاً ويقيناً لمشى على الهواء. قالوا: يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر، قال: إن الله تعالى أبلغ شأناً من أن يبلغ أحد شأنه.

٧ - و منها أنه خسف الأرض بيهودي

قال وهب: خرج عيسى عليه السلام يسيح في الأرض، فصحبه يهودي. وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف. فقال له عيسى: تشاركني في طعامك؟ قال له اليهودي: نعم. فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم. فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفاً. فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما، فقال لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيف واحد. فأكل

عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً، ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة. فقال عيسى لصاحبه: لو أننا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح. فقال: افعل. فباتا ثم اصبحا منطلقين، فلقيا أعمى، فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك، فهل تشكره؟ قال: نعم. فمسَّ عيسى بصره ودعا الله له فإذا هو صحيح. فقال عيسى لليهودي: بالذي أراك الأعمى بصيراً، كم كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيف واحد. فسكت عيسى عنه ثم عمل عيسى معجزة بعد معجزة في خبر يطول شرحه، والغرض من كل هذه الآيات حتى يؤمن اليهودي به. وأخيراً عوقب اليهودي لأجل شراهته إذ خسفت به الأرض، وانطلق عيسى عليه السلام.

٨ - نزول المائدة

قال الله تعالى: «إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين». واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها، فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلعم أنه قال: نزلت المائدة عليها خبز ولحم، وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفد، قال: فقال لهم إني فاعل ذلك، وإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا. فإن فعلتم ذلك عُذبتم. قال: فما مضى يومهم

حتى خانوا وخبأوا، وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها، وقال لعلها لا تنزل أبداً فرُفعت ومُسخوا قردة وخنازير. وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً ثم سَلُوا الله ما شئتم يعطيكموه، فصاموا ثلاثين يوماً. فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنّا إن عملنا لأحد فقضينا عمله أطعمنا طعاماً، وإنّا صمنا وجعنا، فادْعُ الله أن ينزل علينا مائدة من السماء، فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد، ثم دعا الله تعالى فقال: «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء. فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم. وروى عطا بن السائب وغيره أنه كانت المائدة إذا وُضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الأيدي، فيها كل الطعام إلا اللحم. وقال عطية العوفي: نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء. وقال قتادة: كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من أثمار الجنة، وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل. وقال وهب: أنزل الله أقرصة من شعير وحيتاناً، فقيل لوهب: ما كان ذلك يغني من شيء؟ قال: بلى ولكن الله ضعف لهم البركة، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل. وقال كعب الأحبار: نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم. وقال مقاتل

والكلبي: استجاب الله لعيسى عليه السلام، فقال: إني منزّلها عليكم كما سألتم، فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلتُه مثلاً ولعنة وعبرة لمن بعدهم. قالوا: قد رضينا. فدعا شمعون الصفا وكان أفضل الحواريين، فقال: هل معك طعام؟ فقال: معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة، فقال: عليّ بها. فقطعها عيسى قطعاً صغاراً وقال: اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقاً عشرة. ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة، فصار خبزاً صحاحاً وسمكاً صحاحاً. ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه، ثم قال: كلوا باسم الله، فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف. وقال الناس جميعاً شهدنا أنك عبد الله ورسوله، ثم سألوه مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الأولى، فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، فقال: ويحكم إنما سَحَر أعينكم، فمن أراد الله به الخير ثبَّته على بصيرة، ومن أراد فتْنته رجع إلى كفره، فمسُخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة، فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ. (**ملحوظة**: راجع قصة إشباع الخمسة الآلاف الواردة في مرقس ٦: ٣٤-٤٤ مع هذه الأقوال المتضاربة وتأمل الفرق بينهما).

قال عطاء بن أبي رباح، عن سليمان الفارسي إنه قال: والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيماً ولا قهقه ضاحكاً ولا ذبَّ ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيئاً قط، ولا عبث قط. ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صنوفاً، قال: «اللهم أنزل علينا مائدة من السماء وارزقنا عليها طعاماً نأكل وأنت خير الرازقين». فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من فوقها وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضَّة حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين. اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة. وهم ينظرون إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من رائحة ذلك. فقال عيسى لهم: أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها. فقال شمعون الصفا رأس الحواريين: أنت أولى بذلك منا. فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين. فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها، تسيل سيلاناً من الدسم، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث. وإذا خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى عليه السلام: ليس ما ترون من طعام

الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة. كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى؟ فقال عيسى: يا سمكة أحيي باذن الله، فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها. فقال عيسى: ما لكم تسألون أشياء إذا أُعطيتموها كرهتموها؟ ثم قال: فما أخوفني عليكم أن تُعذَّبوا. يا سمكة عودي كما كنت بإذن الله. فعادت السمكة مشوية كما كانت. قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن. فقال عيسى: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها من سألها. فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال: كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء. فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلثماية رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلىً كلهم شبعان يتجشأ. ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء. ثم طارت المائدة صعدى وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم، فلم يأكل منها يومئذ مريض إلا برىء ولا زمن إلا صحَّ ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات. وندم الحواريون ومن لم يأكل. وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها، فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الغني طارت صعدى وهم ينظرون حتى تغيب

عنهم. وكانت تنزل غباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناقة ثمود، فأوحى الله تعالى إلى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء. فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، فقالوا: أترون المائدة تنزل من السماء حقاً؟ فقال لهم عيسى: هلكتم فثمروا لعذاب الله. فأوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين، أن من كفر بعد نزولها عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. فقال أنت العزيز الحكيم. فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على الفراش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش. فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم. فما أبصرت الخنازير عيسى حتى بكت وجعلت تطوف به، فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد، فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

٩ - رفعه الى السماء

«إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا». «وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما

قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم» الى قوله تعالى«بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً».

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه وأمه. فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال: اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خُلقت، ولم آتهم من تلقاء نفسي. اللهم العن من سبَّني وسبَّ أمي، فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبّوه وأمه خنازير. فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته، فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى، فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه، فقال: يا معاشر اليهود إن الله يبغضكم. فغضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه، فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام، فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته. فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخله الخوخة فيقتله، فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم، فظنوا أنه يقاتله فيها، فألقى الله عليه شبه عيسى. فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه.

وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال:

احضروني الليلة فلي إليكم حاجة. فلما اجتمعوا إليه من الليل عشَّاهم وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاظموا ذلك وتكارهوه. فقال: ألا من ردَّ عليَّ شيئاً مما اصنع فليس مني ولا أنا منه، فأقروّه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم: أنا ما صنعت بكم الليلة عما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي إلا ليكون لكم بي أسوة، وإنكم ترون أني خيَّرتكم فلا يتعاظم بعضكم على بعض، وليبذلنَّ بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم. (**ملحوظة**: وما معنى بذل النفس إلا الموت كما جاء في الكتاب المقدس في أماكن عديدة؟!). وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي. فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا، أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاءً، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله! ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينونني فيها! فقالوا: والله ما ندري ما لنا. لقد كنا نسهر فنكثر السهر، وما نطيق الليلة سهراً، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه. فقال: يذهب الراعي وتبقى الغنم. وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه، قم قال: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني. فخرجوا وتفرقوا. وكانت اليهود تطلبه. فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا: هذا من أصحابه، فجحد وقال: ما أنا من أصحابه، فتركوه. ثم أخذ

آخر فجحده كذلك. ثم سمع صوت الديك فبكى وأحزنه ذلك. فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم عليه؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذه ودلَّهم عليه، وكان شُبِّه عليهم قبل ذلك، فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون: أنت كنت تحيي الموتى وتبرىء الأكمه والأبرص، أفلا تفك نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك. ثم أنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها، فلما أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى، وألقى شبَه عيسى على الذي دلَّهم عليه واسمه يهوذا، فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى. وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء، فذلك قوله تعالى: «إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهّرك من الذين كفروا». فلما صُلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب، فأتاهما عيسى وقال: على من تبكيان؟ فقالتا: عليك. فقال إن الله تعالى رفعني فلم يصبني الأخير، وإن هذا شخص شُبِّه لهم.

وقال مقاتل إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون رقيباً يدور معه حيثما دار، فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الله السماء، والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب، فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان

يقول لهم: إني لست عيسى. إني فلان ابن فلان، فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه. قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال لأصحابه: أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول؟ فقال رجل من القوم: أنا يا نبي الله. فقُتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه. وقيل إن الذي شبّه بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيلي يسمى أشيوع بن قندير. والله اعلم.

تعليقنا: ولماذا ننسب هذا التحايل والخداع لله عزّ وجلّ، والمسألة لا تقتضي كل ذلك، لأن عيسى جاء لهذا الغرض لا سواه؟ وبما أنه ثبت صدق دعـواه النبوة بالآيات الباهرات التي لم يعملها نبي مثله وصدقت أقواله التي سبق وأنبأ بها بطرس وغيره، فهو أنبأ بموته وقيامته وصعوده. وقد قال: «لهذا خرجت من عند أبي ولهذا جئت إلى العالم». فلِمَ لا نصدقه ونبتدع على الله عز وجل حيلاً مثل هذه سبحانه وتعالى عنها.

١٠ - نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام

قال وهب وغيره من أهل الكتب: لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام، ثم قال الله: إن أعداءك اليهود أعجلوك من العهـد إلى أصحابك، فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم

المجدلانية فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها، فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك، وأْمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثّهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى. وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني إسرائيل في قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدلان، وكانت امرأة صالحة، وكانت تستحاض فلا تطهر. فخطبها أشراف بني إسرائيل فامتنعت، فظنوا أنها ترفَّعت بنفسها عنهم. فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى، أقبلت إليه رجاء الشفاء. فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت إلى ورائه، ووضعت يدها على ظهره. فقال عيسى: لقد مسَّني ذو عاهة بنية حسنة، ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي. فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت. (**ملحوظة**: خلط بين النازفة ومريم المجدلية). فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، فجمعت له الحواريين فبثَّهم في الأرض دعاةً إلى الله، ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور، وقطع منه شهوة المطعم والمشرب، فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسياً ملكياً أرضياً سماوياً.

(**ملحوظة**: ونحن نقول إنه إنسان تام وإله تام). وتفرَّق الحواريون حيث أمرهم. فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخرفها

النصارى. قالوا: فوُجّه بطرس إلى رومية وأندراوس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس، وتوما وليا إلى أرض المشرق، وفيلبس ويهوذا إلى القيروان وأفريقة، ويحيى إلى أفسس قرية أصحاب الكهف، واليعقوبين إلى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس، وبرتوماوس إلى الأعرابية وهي أرض الحجاز، وشمعون إلى أرض بربر. فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدّث بلغة من أرسله عيسى إليهم.

تعليقنا: إذاً لم تكن رسالة عيسى قاصرة على بني إسرائيل، وإلا لما كان أرسل حواريه إلى كل أقصاء العالم من عرب وعجم وبربر، يدعون الناس إلى الله على طريقته. ولو لم يكن الله قاصداً أن تنتشر دعوته في كل أقصاء الأرض لما كان أقامه من بين الأموات، أو حسب قولهم أنزله من السموات مرة أخرى ليجمع إليه حواريه ويأمرهم بالتبشير للخليقة كلها. وإن كانت بعثة الحواريين بتدبير من الله وبإرشاد منه، فلماذا لا نقبل قولهم وندين بدين الله الذي جالوا في العالم ينادون به؟.

إلى هنا تنتهي قصة الثعلبي ولا تحتاج إلى ملاحظة، لأن خرافاتها عجيبة غريبة لا يلتفت إليها المسلم النبيه!

١١ - أحاديث عن موت المسيح وقيامته ومجيئه ثانية

وقد جاءت أحاديث عديدة عن موت المسيح وقيامته ورجوعه تزيد المسالة غموضاً و مسخاً. قال وهب إن عيسى عند موته أمر شمعون الصفا ويحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها، فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه إلى الله تعالى. وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك يونس عليه السلام. فلما أتوه أمر بشمعون وأندراوس فقُتلا وصُلبا منكسين، وهربت مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض الطريق الحقهما الطلب، فخافا، فانشقت لهما الأرض فغابا فيها. وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً، فردّوا التراب على حاله، وعلموا أنه أمر من الله تعالى. فسأل ملك الروم على حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله اعلم.

قال أبو هريرة: قال رسول الله صلعم: والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها. ويترك القلاص فلا تسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد. (**ملحوظة**: إن ما ذُكر جزء مما ورد في الكتاب المقدس عن مجيء المسيح ثانية، أما ما سيأتي فهو خبط لا أصل له). قال: ينزل عيسى

ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له، ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيُدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر.

وقد قال برتون الرحالة العظيم الذي زار مكة ما معناه:

«إنه أمر مشاع أنه يوجد في الحجرة مكان خال يسع واحداً فقط محفوظاً لعيسى بن مريم ليُدفن فيه عند مجيئه الثاني. قال أبو هريرة: قال رسول الله صلعم: إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويُدفن الى جانب قبر عمر، فطوبى لأبي بكر وعمر يُحشران بين نبيين. وتوجد أحاديث عديدة تدل على أن عثمان والإمام حسناً (رضى الله عنهما) رغبا ان يُدفنا هناك، وأن عائشة رضي الله عنها التي كانت الحجرة تخصّها وافقت على طلبهما، ولكن لم تتم لهما أمنيتهما، لأنه لم يدفن ابن آدم فيها. ومعلوم أن الحجرة التي دُفن فيها محمد كانت خاصة بعائشة وهي مربع غير منتظم، ساحته خمسة وخمسون قدماً يفصلها عن جامع محمد طريق عرضه ٢٦ قدماً. وفي الحجرة يوجد ثلاث منامات، يُظنّ أنها لمحمد وأبي بكر وعمر، ويحيط بالثلاث جدران حجر. ويقول البعض إنه جدار من ألواح سميكة قوية. وكيفما كان فإنها مغطاة بسجف ومحاطة بسور من حديد ملون بألوان خضراء وذهبية. وبين السور والجدار

الداخلي فسحة مظلمة، وفوق الحجرة قبة خضراء يعلوها هلال كبير مذهب وتوجد أقوال متضاربة بين علماء المسلمين بخصوص محتويات هذه الحجرة، فيقول البعض إن فاطمة بنت النبي مدفونة فيها أيضاً في جانب منفصل عن الثلاثة، ويقولون إن محمداً نائم فيها على جانبه الأيمن وراحته اليمنى تحت خده الأيمن ووجهه نحو مكة، ووراءه تماماً أبو بكر ووجهه نحو كتف محمد، ثم عمر بذات الوضع والاتجاه. ثم المكان المتروك لعيسى حتى يأتي ويموت ويُدفن فيه. وتوجد اعتراضات جمة على حقيقة دفن النبي في جامعه. أما البستان الملاصق للجامع فاسمه الروضة، وللحجرة أربعة ابواب كلها موصدة إلا واحداً يدخل منه الموكلون بحفظ المحل وتنظيفه وتنويره وحمل النذور والهدايا التي تُلقى فيه. وجاء في تاريخها أن كثيرين من ملوك المسلمين وأمرائهم وعظمائهم رغبوا أن يُدفنوا في الحجرة في المكان الخالي، ولكنهم لم ينالوا مشتهاهم تنفيذاً للوصية بوجوب حفظها لعيسى عند مجيئه الثاني. ولما أخذ الوهابيون المدينة سنة ١٨٠٤ سلبوا كل الزينات والتحف الموضوعة على القبور، وأعلنوا أن كل الصلوات والنذور التي تُجري حوله هي عبادة وثنية أصنامية، ولكن عادت بعض الرسوم والصلوات والنذور كما كانت لا سيما في فصلي الحج».

وجاء في كتاب الدابستاني للإمام محسن فاني سنة ١٦٤٧ م عن محاكمة المسيح أمام مجلس السنهدريم وبيلاطس، وهي تشابه قصة

الإنجيل تقريباً، قال: «لما وقف عيسى أمام رأس الكهنة قال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت ابن الله؟ فأجابه السيد عيسى المبارك القدوس وقال «إني كما قلت، والحق أقول لكم إنكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين الله وآتياً على سحاب السماء». فقالوا: إنك الآن تجدف، لأنه حسب اعتقاد اليهود لا ينزل الله أبداً على سحاب السماء، وقد تنبأ اشعياء عن ميلاد عيسى بكلمات واضحة حيث قال: «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب. ها العذراء تحبل وتلد ابناً» ويسى هو جد داود. ولما قبض اليهود على عيسى بصقوا على وجهه المبارك ولطموه وهذا تنبأ عنه اشعياء بقوله: «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق». ثم أن بيلاطس حاكم اليهود جلد السيد عيسى حتى أن كل جسمه من رأسه الى قدميه صار جرحاً واحداً كما تنبأ اشعياء وقال: «مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. إنه ضُرب من أجل ذنب شعبي». ولما رأى بيلاطس إصرار اليهود على طلب صلب عيسى وقتله قال: «إني بريء من دم هذا الرجل (البار) وأغسل يدي من دمه». فأجاب اليهود: «دمه علينا وعلى أولادنا». ولذلك ترى اليهود إلى اليوم مظلومين ومضطهدين نظراً لآثامهم. ثم إنهم وضعوا الصليب على كتف عيسى وساقوه ليُصلب فمسحت امرأة وجهه الملطخ بالدم بطرف

ثوبها، فانطبعت عليه صورته ثلاث مرات. واليوم توجد واحدة منها في أسبانيا وأخرى في مدينة ميلان بإيطاليا والثالثة في مدينة رومية.

وتـوجد أحاديث متأخرة مثل هذه مأخوذة عن الانجيل أو تقاليد بعض المسيحيين، ولكنها ليست شائعة عند الجميع ولا مقبولة بالإجماع ولذلك لا يصح الوثوق منها والاستشهاد بها. وعلى كل حال فإن هذه التقاليد المسيحية التي تقابل الأحاديث الإسلامية لا يعتبرها المسيحيون مصدر ثقة مثل الكتاب المقدس. ومن الأسف أن محدثي الإسلامية لم يجعلوا عمـدتهم في نقـل التـاريخ الصحيح ولا قول الإنجيل، بل اعتمـدوا على تقـاليد بعض المسيحيين، وهي ضعيفة السند كما هو مسلَّم به عند جمهور متنوّري المسيحية، فجاء مصدر نقلهم ضعيفاً ومشكوكاً فيه.

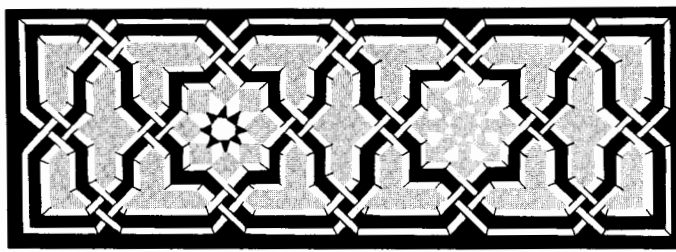

الفصل الخامس

ذات المسيح وصفاته

رأيت في الفصول السابقة أن للمسيح مقاماً عظيماً بين الأنبياء كما جاء في الكتب الإسلامية جمعاء، فالقرآن يشير إشارات مهمة وجلية الى عظمة المسيح وتفوّقه على سائر الأنبياء، ولكنه يقصر كثيراً عن إزاحة الستار عن كماله المجيد وجلاله البهي الإلهي، وكأني بالقرآن يأتي بالباحث عن حقيقة المسيح إلى الساحة الخارجية ولكن تقصر يده عن فتح الباب. ان كل مسلم باحث عن الحقيقة وهو خالي الغرض لا يفرغ من قراءة ما جاء عن المسيح في القرآن والحديث إلا ويشعر بالدهشة والحيرة في نفسه، وتتعطش أفكاره للارتواء بحقائق سامية، ولكنه للأسف لا يجد فيهما ما يطفىء تلك النار ولا ما يروي ذلك الغليل، كما وأنه لا يمكن لأي مسلم مهما كان أن يتخلص من أن يخطر بباله شيء عن يسوع المسيح وأن يؤدي شهادة لشخصه وصفاته بعدما يرى الأقوال الكثيرة الواردة عنه في القرآن والحديث (كما جاء في الفصول الماضية) بكيفية تمتاز عن سائر الأنبياء والمرسلين.

وقد قصدنا في هذا الفصل أن نلخص للقارىء الفكر الذي ينشأ

عن مطالعة الفصول السابقة والتأثير الذي يحدث منها في عقل المسلم وقلبه بخصوص المسيح. فبحثنا في الأمر كان من وجهة تاريخية. أما في هذا الفصل فسنجعل البحث من وجهة عقائدية تعليمية. على أننا نرى أمامنا صعوبة في الوصول إلى غرضنا هذا، لأننا لا نقدر أن نستعمل الاصطلاحات المسيحية لعلمنا أن المسلم يرفض الاعتبارات الناشئة عن تلك الاصطلاحات وينقضها. فعلم اللاهوت المسيحي (أو علم الكلام حسب التعبير الإسلامي) مركزه الأسمى ومحوره الثابت وغايته القصوى العقيدة المختصة بأقنومية يسوع المسيح. والكنيسة من بدء ظهورها إلى اليوم أجمعت كلمتها أن يسوع المسيح إله تام وإنسان تام، ونسبت إلى شخصه حسب تعليم الكتب المقدسة الوظائف الثلاث الرئيسية، أي أنه نبي وكاهن وملك، وأن وجود المسيح الأزلي بصفته ابن الله وتواضعه العجيب وتنازله حتى صار ابن الإنسان، ثم ارتفاعه الى المجد، كل هذه أساس علم اللاهوت المسيحي وأساس تعزية جميع المؤمنين به. على أنه لا ينكر أن هذه العقائد عن شخص المسيح وصفاته ينكرها عقل المسلم، ولذلك وجب أن نبحث المسألة من وجهة إسلامية بحتة وعن وجه سلبي أيضاً، فنقول:

(١) يشبه الفكر الإسلامي عن المسيح الفكر الإسلامي عن الله (كما ذكرنا في مؤلف آخر) بما أنه لا يقوم بما قيل عنه إيجابياً فقط بل

بالأكثر الأوضح بما يُنكر عليه سلبياً. وهاك قولهم: «كل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك» وقد صدق فريمان كلارك، أحد الفلاسفة في قولـه: «إذا كنـت تبحث عن الخـطأ في نظرية ما من نظريات الفـلاسفـة فلا تجده غالبـاً في إيجابياتها الثبوتية، بل في سلبياتها أي حدودها السلبية، لأن الإيجابي المثبت عندهم هو حقيقي لا شك فيه، لكن إنكار وجود صفات لا يلزم أن يُعتبر دليلاً على عدم وجود تلك الصفات، بل هو دليل على عدم اتساع نظر القوم». وسبب موافقة علماء الكـلام الإسـلامي على أغلبية السلبيات على الإيجـابيات هو كونهم يبنون أكثر علم الكلام على قواعد المنطق والفلسفة.

ينكر القرآن لاهوت المسيح يسوع وبنويته الأزلية ويقول عنه إن مثله كمثل آدم. كما جاء في آل عمران ٦٠ «إن مثَلَ عيسى عند الله كمثَل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون». والذين يعتقدون أن عيسى أكثر من إنسان بشري هم كفار أفاكون كما جاء في التوبة ٣٠ «وقـالت النصـارى المسيح ابن الله، ذلـك قولهم بأفـواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون». بل لم يكتف القـرآن بتـأكيد أن المسيح مجرد إنسـان مخلوق كسـائـر المخلوقات، بل تمادى إلى القول إن عيسى ليس لازماً لله ولا لتدبير الله في عالمه، فقال في المائدة ١٧ «قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً». وأول شيء

يخطر ببال المسلم عن يسوع هو أنه كان إنساناً مثل سائر الناس كما جاء في الزخرف ٥٩ و٦٠ قوله عن ابن مريم «إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلُفُون». ولذلك لا تجد أمراً يثير غضب المسلم واشمئزازه من الديانة المسيحية مثل القول إن يسوع المسيح هو ابن الله. ونورد بعض الآيات القرآنية الدالة على أن إنكار المسلم قضية الثالوث مبنيٌ على التعاليم القرآنية الواردة عن المسيح مثل قوله في مريم ٨٨ - ٩٣ «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لقد جئتم شيئاً إدّا. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمان ولداً. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً» وفي الإسراء ١١١ «وقُل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يك له شريك في المُلك، ولم يكن له ولي من الذل وكبِّره تكبيراً».

ولو رجعوا إلى التوراة والزبور والإنجيل لوجدوا أن التوحيد ركن مهم من أركان دين الله المعلن في كتبه المقدسة التي أنزلها من قبل على النبيين، فجاء في التثنية ٦ : ٤ «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» وفي تثنية ٤ : ٣٥ و٣٦ «إن الرب هو الإله، ليس آخر سواه. إن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه». و جاء في اشعياء: «أنا الرب هذا اسمي. مجدي لا أعطيه لآخر. حمدي لا أسمح به للمنحوتات. أنا الأول والآخر. أنا الله

وليس سواي. أنا الله ليس مثلي. الله صنع السموات. الله أبدع الأرض. أنا الله ليس سواي يقول الرب. الرب هو الإله الحي والملك الأبدي». وجاء في الإنجيل قوله: «ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحداً» (١كورنثوس ٨: ٤).

الله واحد

«يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله» (آل عمران ٦٤).

يُزعم أن المسيحيين يقولون بتعدد الآلهة والعياذ بالله. ويُتوهم أنهم يعتقدون الشرك. إنهم مبرّأون من هذه التُّهمة الذَّميمة وهذا كتابهم ينطق بالحق.

ولو سألنا أبسط مسيحي ما هو الله. لأجاب فوراً «إن الله روح غير محدود. سرمدي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وحبّه وحقّه» وانه لا يتجزأ ولا يتقسَّم ولا يتعدَّد ولا تحيط به الأكوان، ويعجز عن إدراك كنه ذاته وصفاته كل مخلوق وإنسان. ويستشهد المسيحي لكل قضية من هذه العقيدة الإيمانية بآية من الآيات المقدسة.

أمـا نسبـة تعدُّد الآلهة للمسيحيين، فسببه عدم مطالعة الكتاب المقدس الثمين. فإن قيل إن المسيحيين يعتقدون بالتثليث وهو ضد التوحيد، فكيف يوحّدون وهم يثلّثون وبينهما بون بعيد؟

أقول نعم إنهم يعتقدون طبق ما صرح لهم الله في إعلاناته ووضحه المسيح تماماً في بشاراته، بأن ذات الله الواحدة التي لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتكاثر قائمة من الأزل في ثلاثة أقانيم (الله وكلمته وروحه) فيُعبَّر عن الله بالآب، وعن الكلمة بالابن، وعن الروح بالروح القدس. وهذه الذات الواحدة القائمة في الثلاثة أقانيم هي جوهر واحد (أي ذات واحدة) لا يقبل التعدُّد ولا الانقسام ولا التفريق بل بذات واحدة وقدرة ومجد واحد.

ويستدل بالفصول الآتي ذكرها أن التعدد لا يقدح في وحدة الذات.

قال في «اليواقيت» للشَّعراني، ناقلاً عن عليّ وفا الشاذلي الشهير ما ملخصـه: «التعـدد الاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لأصلها أو الأصابع بالنظر إلى الكف» (صفحة ٨١).

وفي «المـواقف» (صفحـة ٣٨٥) ما ملخصه «حيث صفاته تعالى حقيقية لم يكن هو بسيطاً حقيقياً واحداً من جميع جهاته».

وفي «المواقف» أيضاً (ص ٣٤٢) ما معناه أنه يجوز اجتماع الوحدة والتعدد في شيء واحد، ثم أوضح أن الوحدة ليست ضداً للتعدد. ونحن لا نقول إن الأقانيم صفات أو إن الصفات أقانيم، ولكننا نقول: حيث ثبت أن الوحدة والتعدد ليسا ضدين، بل يجتمعان بالصفات والذات، فاجتماعهما في وحدة الذات مع تعدد الأقانيم أقرب وأصدق. ومن يسلم بتلك يجب أن يسلم بهذه قطعاً. فتأمل ايها القارىء، وبعد تسليمك عقلياً بإمكانية تعدد الأقانيم في ذات واحدة، أقبلْ على مطالعة الإنجيل الذي ينير قلب طالب الحق، فينير الله لك صحة ذلك.

و لا يخفى أن عقول البشر محدودة، وهي عاجزة عن إدراك حقيقة الماديات، ومحجوبة عن معرفة جواهر الروحانيات. فهي لا تدرك من الماديات المحسوسة إلا صفاتها وخواصها. ونجهل حقيقة جواهرها. وذواتها.

فنحن نعلم أن الكهرباء موجودة ونشاهد ما ينبعث عنها من الأعمال الكبيرة كجرّ الأثقال وسطوع الأنوار. مع أنها للآن وأظن إلى الأبد ايضاً لم تصل ولن تصل عقول علمائنا إلى معرفة جوهرها وحقيقتها. إنهم يعلمون صفاتها وخواصها فقط.

كيف يعرف المخلوق المحدود الخالق غير المحدود، وهو جاهل ذات

نفسه وكيفية وجودها وسر حياتها في جسمه المتحرك والساكن بإرادتها. فإذا لم تصل عقولنا إلى تصوّر كنه حياتنا فلا نقدر أن ندرك حقائق الروحانيات. وحيث ثبت عجزنا عن تصور حقائق الماديات المشهودة لنا والروحانيات القائمة فينا، فلا شك أننا عن معرفة ذات الخالق أعجز. وما أحسن ما قاله الخليفة الأول أبو بكر:

العجز عن دَرْك الإدراك إدراك والبحث في عين ذات الله إشراك

لا تفهموا من لفظة «آب وابن» معنى الولادة التناسلية التي توجب تقدم الآب على الابن في الوجود، وزرع زارع. فلا يقول بهذا مسيحي قط في ربه الإله الواحد، الذي لم يتخذ صاحبة (زوجة) ولا ولداً يتولّد بالتناسل الحيواني «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً». لكن الابن الذي هو الكلمة الأزلية تجسد إنساناً كاملاً بالروح القدس في بطن مريم بلا انفصال عن لاهوت الذات الأحدية. قال الإنجيل: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله». وفي النساء ١٧١ «إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقٰها إلى مريم وروح منه» فالمسيح من حيث هو ابن مريم جسد محدث زمني. ومن حيث هو كلمة الله قديم أزلي، فعل المعجزات بالطبيعة الإلهية، وأظهر العجز بالطبيعة البشرية. وكل هذا مما يسعه الإيمان الذي أوجبه الله علينا.

والخلاصة إن الطائفتين متفقتان بحقيقة التوحيد في ذات الله تعالى وكمال صفاته التي لا تصل إلى معرفة حقيقتها العقول البشرية. وليس بينهما إلا سوء الفهم بخصوص التعدد في ذات واحدة. جعل الله هذه العجالة سبباً لإزالة الوهم. حتى نعرف الحق فنتبعه. ونرى الباطل فنتجنبه. آمين.

ومهما قال القرآن والحديث كما رأينا وسنرى أيضاً عن المسيح وسموّه وعصمته من الخطأ وقوته على عمل المعجزات، فإن المسلمين لا يفرّقون بينه وبين سائر الأنبياء بالنظر إلى طبيعته، بل بينما نجدهم ينكرون حتماً وجوده الأزلي فإن الأحاديث مشحونة بالأخبار عن وجود نور محمد قبل تكوين العالمين (انظر كتاب «انسان العيون» لبرهان الدين الحلبي) وإلا فيُعتبر أمراً مدهشاً يحار فيه العقل أن ينسب الإسلام إلى محمد ما لم ينسبه محمد لنفسه من حيث الأزلية، ثم ينكرها على يسوع المسيح، مع أنها مثبتة له ببراهين لا تُردّ.

وإذا قرأت مؤلفات مسلمي كل العالم الإسلامي لا تجد غرضاً يوجهون اليه سهام اعتراضاتهم إلا قضية لاهوت المسيح وعمله الكفاري لأجل البشر، ففيما يعتقد المسيحي أن يسوع المسيح إله وإنسان معاً، وهو نبي وكاهن وملك، يقول المسلم إنه إنسان فقط، ويعترف له بالبنوة لا غير. أما الكهنوت والملكوت فأمران غير مفهومين

ولا مقبولين، لأن الإسلام ديانة بدون كهنوت وبدون فكر صريح عن الكفارة، ولذلك غاب عن فكر المسلم هذا الفكر الأساسي في عمل المسيح.

وقد تحدث أحد القسوس عن عدم وجود هذا الفكر عند محمد فقال: «لم يشعر محمد بخطية ما، ولذلك لم يشعر بحاجته إلى طريق الفداء، وبالتالي فجميع أتباعه في كل القرون يعارضون هذا الفكر. وهذا هو السبب أن الدين المسيحي اكتسب من الإسلام أقل من غيره في العالم أجمع، فاعتقاد المسيحيين بالخطية هو حاجز منيع بين المسيحية والمسلم المفكر في اعتناقها».

قال أحد العاملين بين المسلمين، وهو متنصر، إن السبب الأكبر لقلة النجاح في الكرازة للمسلمين هو اعتقادهم أن رحمة الله بالخاطىء، أي عفوه عنه بغير فداء، لا ينافي عدله. فلذا لا يرون لزوماً للفادي.

ولذلك فنحن لا نستغرب إن كان الصليب اليوم حجر عثرة للمسلم كما كان قدياً لمحمد نبيّه، ولا عجب إذا كانت كل تآليفهم الجدلية العصرية ومقالاتهم محشوة بإنكار حقوق المسيح وامتيازاته المنسوبة إليه في الانجيل الطاهر، حتى أن بعضاً منهم أغمضوا عيونهم عما جاء في القرآن والحديث من تعظيم عيسى وأمه والذين اتبعوه.

ولم يقتصر إنكارهم حقيقة لاهوت المسيح على نوع من الإنكار، بل ذهب فيه بعضهم كل مذهب، فقال أحد كبار كتابهم وأقدرهم، السيد أمير علي من كلكتا: «ان لاهوت المسيح خرافة نمت مع تقدم الأيام. ولو فرضنا أن عيسى انتفع بما نسبوه إليه من الألقاب والصفات، فهل يستطيع المسيحيون أن يبرهنوا أنه ادَّعى أنه ابن الله الوحيد؟ فإنه مع كل مطامحه وأحلامه وآماله كان عقله خالياً بالكلية من هذه الافتراءات التي نسبها إليه أتباعه المضطربون غيرة. وإننا ننكر كل الإنكار أن عيسى ادّعى مرة أنه ابن الله بالمعنى الذي ينسبه إليه علماء المسيحية وحُماتها».

وهنا نرى صورة طبق الأصل من البراهين التي يقابل بها المسلمون المسيحيين، إذ يفاخرونهم قائلين: «إننا نكرم سيدنا المسيح ونحبه اكثر من المسيحيين أنفسهم». ألا تراه من العجيب المدهش أن المسلمين بعدما يخفضون أمجاد المسيح ويبخسون مقامه وكل أعماله الواردة في الإنجيل، يفسّرون ذلك بأنهم يكرمونه ويحبونه أكثر من المسيحيين؟ قال شيخ مسلم إنه يحب المسيح لأنه لا يود أن يصدق أنه صُلب ومات ودُفن كما يؤمن المسيحيون!

(٢) وكما رأينا الفكر الإسلامي عن ذات وصفات مخلصنا سلبياً، نتقدم إلى بيان ما يعترف به المسلم من شرف شخص المسيح ونقاوة

صفاته إيجابياً. لا جدال أن المسلم الذي يقرأ القرآن ببصيرة خالية من الغرض، بغض النظر عن أقوال المفسرين، لا يجد مفراً من الإقرار أن المسيح أسمى من محمد. ومن الأمور المشجعة أن كثيرين من أتقياء المسلمين التفتوا إلى هذه الحقيقة الواضحة، فأدَّت بهم إلى مطالعة الانجيل حيث يستطيعون أن يستقوا الماء العذب من مورده الصافي.

كتب رجل من مكة يطلب كتاب العهد الجديد ليتعلم منه أكثر عن المسيح المذكور في القرآن، وهناك عدة حوادث من هذا القبيل.

(أ) يقرّ المسلمون بمقام المسيح كنبي ورسول، ويعطونه أسماءً وألقاباً لم تُعط لأي نبي أو رسول آخر سواه (كما رأينا في الفصل الأول). وكل مسلم مخلص يسلّم بقوة هذا البرهان، لأن مقام المسيح وصفاته في القرآن والحديث مما تفرد بهما، ولو أنه معتبر فيهما إنساناً مثل سائر الناس. ومع كل ذلك فعامة المسلمين لا يرون قوة هذا البرهان حتى تستدعي إليه التفاتهم لأنه مع نسبة هذه الألقاب والصفات الممتازة ليسوع يجدون أنه مذكور في صف الأنبياء والرسل، وكواحد منهم بدون تمييز أو تخصيص مقام أسمى له، ولذلك لا يستطيعون رؤيته كما يستحق إلا لما نوجّه التفاتهم الى أقوال كتبهم، ونطلب منهم التمعُّن فيها بروح خالية من الغرض، لأنهم يقتبسون أقوال القرآن في البقرة ١٣٦ و ٢٨٥ «لا نفرق بين أحد منهم» (أي الأنبياء والرسل)

وآل عمران ٨٤ «قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقـوب والأسباط، ومـا أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم». وقد جاء ذكر الأنبياء بأكثـر تطويل وعيسى كواحـد منهم بدون أدنى تمييز في الأنعام ٨٥ و٨٧، وهم إبـراهيم وإسحق ويعقـوب ونـوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف ومـوسى وهـرون ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل وأليسع ويونس ولوط. وبما أن القرآن لا يلاحظ عادة الترتيب التاريخي في سرد حوادثه وتراجم الرجال المذكورين فيه، فيعسر على المسلم أن يستنتج من ألفاظ كتابه وقت ظهور عيسى بأنه آخر الأنبياء في تاريخ اليهود والنصارى واعظمهم.

(ب) يقـر المسلمـون بعصمـة يسـوع من الخطية. ومع أن هذه العصمة حسب رأي علمائهم العصريين لا تجعل يسوع في صف ممتاز عن غيره، لأن كل الأنبياء معصـومون من الخطية كما يقولون، ومع ذلك فالقرآن الذي يسرد خطايا آدم وداود وسليمان والأنبياء الآخرين، لا يترك أدنى شك في نفس القارىء بخصوص طهارة صفات المسيح وخلوه من كل خطية. ومع أنهم يعتبرون محمداً مثال الكمال والطهارة والنقاوة والبعد عن كل خطية، فان هذا النبي نفسه شهد بسمو يسوع بقـوله: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل

صارخاً من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها» (متفق عليه)(مشكاة المصابيح الكتاب الاول باب الوسوسة) وهنا نجد إشارة واضحة للحبل بلا دنس بمريم ويسوع على السواء.

قال الكرماني إنه لما كانت مريم واقفة تحت النخلة وتحيطها الملائكة جاء إبليس ليطعنها من فوق، فظللتها الملائكة. فنزل ليطعنها من أسفل فنزلت الملائكة تحت قدميها وصانتها. فجاء ليدخل بينهم وبينها، فوقفت الملائكة مدافعة عنها. فذهب الشيطان يقول: «لم يولد مولود واستطاع أحد أن يحميه بشيء مثل هذا المولود». وقال الفخر الرازي «سُمّي المسيح لأنه مبرأ من العيوب والخطايا». وجاء حديث لابن أنس عن النبي تكلم محمد فيه عن خطايا جميع الأنبياء وعدم عصمة نفسه، ولكنه لم يستطع أن ينسب خطية ليسوع وهاك هو:

«عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجلس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمّوا بذلك، فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كل شيء. اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم. ويذكر خطيته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نُهي عنها، ولكن أئتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست

هناكم. ويذكر خطيئته التي أصاب سؤال ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبـراهيم خليل الله الرحمن. قال فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم. ويذكر ثلاث كذبات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التـوراة وكلَّمـه وقـرَّبـه نجياً. قال فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبـد الله ورسـوله وروح الله وكلمته. قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخـر. قال فيأتـوني فاستـأذن على ربي في داره فيؤذن لي» (مشكـاة المصابيح كتاب الفتن باب الحوض والشفاعة) وعلى القارىء ان يفهم النقطة الرئيسية وهي عدم ذكر خطية للمسيح مع ذكرها لمحمد.

وهـاك حكـاية أخـرى غريبة عن تجربة إبليس للمسيح وانتصار المسيح عليه «كان طاوس اليمني أحد أتباع النبي يقول: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أُحصي عليه، حتى أنينه في مرضه. وقال: لقي عيسى ابن مريم عليه السـلام إبليس، فقـال: أمـا علمت أنـه لا يصيبك إلا ما قُدّر لك؟ قال: نعم. قال ابليس: فارْقَ إلى ذروة هذا الجبل وترَدَّ منها، فانظر أتعيش أم لا؟ فقال له عيسى عليه السلام: أما علمت أن الله قال لا يختبرني عبدي فإني أفعل ما شئت. إن العبد لا يبتـلي ربه ولكن الله يبتلي عبده. قال طاوس: فخصمه ابليس» (حياة الحيوان الكبرى للدميري جزء٢ ص ١٥٥).

(ج) إقرارهم ليسوع بصنع المعجزات ولا سيما شفاء الأمراض. ويعتقد عموم المسلمين أن فن الطب وصل درجة سامية من الارتقاء والتقـدّم في عصر المسيح، وأن الله اكرم رسوله بأن منحه قوة شفاء الأمـراض بكيفية معجزية وسلطان خاص به، وقد رأيت مما أوردنا عليك من قصصهم عن يسوع ومعجزاته شدة اعتقادهم بقوته على عمل المعجزات.

ويوجد في «كتاب المثنوي» لجلال الدين الرومي بعض أبيات تمثل جماهير من المرضى يحاصرون باب عيسى لأجل الشفاء، ثم بعد نوال الشفاء يركضون ويقفزون فرحاً وسروراً.

(د) وأخـيراً إن المسيح حي في السـماء يشفـع في أمته، وقد قال البيضـاوي في تفسيره: «وجيهاً في الدنيا والآخرة» (آل عمران ٤٥) «الوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة، ومن المقربين من الله. وقيل إشـارة إلى علو درجتـه في الجنـة أو رفعـه الى السـماء وصحبته الملائكة». على أن المسلمين يختلفون في تعيين المكان الذي يُقيم فيه المسيح الآن، فيقول علماء السنّة إنه لم ير فساداً، ولكنهم يختلفون في تعيين السماء التي يقيم فيها الآن بجسده المولود من مريم العذراء، فيقـول بعضهم إنـه في السـماء الثـانية وغيرهم في الثالثة وغيرهم في الرابعة، وقد قال لي أحد علماء الشيعة إنه في أسمى الدرجات وأعلى

السموات، أي في السماء السابعة حسب اصطلاحهم.

ومن كل ما تقدم يتضح لك أن كل ما ورد عن صفات يسوع ومقامه وذاته في الكتب الإسلامية يشير بجلاء أن مؤسس الديانة المسيحية وُلد بكيفية معجزية، وكانت له قوة خارقة على عمل المعجزات، وأنه آخر الأنبياء وأعظمهم قبل ظهور محمد، وقد خصَّه الله بشرف رفيع دون سواه إذ رفَّعه إليه إلى السماء. ولكن مع كل ذلك هو إنسان مثل سائر الناس، ورسول من الله. ومن أهم أغراض رسالته أنه جاء الى العالم ليبشر الناس بمجيء محمد بعده. وهذا القول الأخير جرى مجرى المثل على ألسنتهم، فلا تخاطب كبيراً أو صغيراً له أدنى إلمام بآيات القرآن إلا ابتدرك بقوله: «وإذ قال عيسى يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» (سورة الصف ٦). وبهذا القول لم يقتصر نبي العرب بجعل نفسه خليفة نبي الناصرة بل حلَّ محله في كل شيء.

وقد اجتهد علماء الاسلام في تأييد هذه الدعوى من العهدين القديم والجديد فلم يفلحوا، فترجموا كلمة «بارقليط» الواردة في يوحنا ١٦ : ٧ ترجمة بعيدة عن الأصل، وقالوا إن المقصود بها الإشارة إلى مجيء محمد، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا الآيات الواردة في تثنية ٢٣ : ٢

وإشعياء ٢١ : ٧ والمثل في متى ٢٠ ويوحنا ٤ : ٢١ و١يوحنا ٤ : ١-٣ وزعموا أن جميعها تشير لمحمد.

ففي تثنية ٣٣ : ٢ يقول: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران». فيقولون إن سيناء جبل يهودي، وسعير جبل في الجليل حيث مات المسيح. أما فاران فجبل قرب مكة ويُشار به إلى الديانة الإسلامية (انظر ردَّنا أدناه).

أما نبوة إشعياء القائلة: «فرأى ركاباً أزواج فرسان: ركاب حمير، ركاب جمال فأصغى إصغاءً شديداً» فيقولون إن المقصود بركاب الخيل هو عهد موسى، وبركاب الحمير الى الحمار الذي ركبه المسيح، وبالجمال الى محمد (انظر الرد).

أما المثل الوارد في الأصحاح العشرين من إنجيل متى فإنهم يقولون إنه يشير إلى الثلاثة عهود، فالصبح يشير إلى العهد اليهودي، وفعَلة الظهر إلى رسل المسيح. أما فعَلة الساعة الحادية عشرة فهم المسلمون. وهذا التفسير مبنيٌ على حديث جاء عن محمد، قال: «مَثَل المسلمين واليهود والنصارى كمثَل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا له: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا، وما عملنا باطل. فقال لهم:

لا تفعلوا. أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا. واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا، ولكم الذي شرطت لهم من الأجر. فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال لهم: أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا. واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما. فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور» (من كتاب الاجارة من الجزء الثاني من البخاري، وقبل هذا الحديث بقليل حديث مثله يرويه عمر بن الخطاب عن محمد أيضاً).

أما قوله في يوحنا ٤ : ٢١ عن الساجدين الحقيقيين وقول المسيح: «ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب» فإنهم يفسرون الساجدين الحقيقيين بالمسلمين.

ومما يدل على منتهى جسارتهم في تأويل آيات الكتاب لغير معناها قولهم في ١يوحنا ٤ : ١-٣ «بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» فيقولون إن محمداً هو روح الله الحقيقي، لأنه اعترف وعلَّم أن يسوع المسيح قد جاء في الجسد، أي أنه أتى إنساناً وإنساناً فقط لا إلهاً. وبهذه الكيفية يتحد

القرآن ومفسروه على تغطية مجد وجلال صفات الرب يسوع وشخصه العظيم بوضع نبيّهم آخر الأنبياء وأعظم المرسلين، وأن يسوع نفسه جاء ليشهد له وينبىء آخر الأنبياء وأعظم المرسلين، وأن يسوع نفسه جاء ليشهد له وينبىء بمجيئه. وما فعلوه بشخص المسيح الكريم وصفاته الجليلة فعلوه أيضاً بتعاليمه السامية كما سترى في الفصل التالي.

ورداً على ذلك نقول:

لا يخفى على اللبيب أنه لو كان المسيح قال بأي نبوة من هذا القبيل عن محمد، لكانت وردت في الإنجيل الطاهر. ومع اعتراف نبي المسلمين بصحة الإنجيل الموجود في عصره وسلامته من التبديل والتحريف، لم يقدر أن يثبت هذه الدعوى منه. ولو كانت موجودة فيه في ذلك الحين، لما استطاع المسيحيون حذفها، لتشيُّع مذاهبهم، ولوقوف المسلمين لهم بالمرصاد. فأين الدليل اذاً على صحة هذه الدعوى؟

وكلمة «بارقليط» يونانية، يحكم في صحة ترجمتها أبناء لغتها، لا العرب ولا الأقباط أو غيرهم، بل علماء اليونان. وهؤلاء يترجمونها إلى العربية كما هي واردة في الإنجيل، حيث لا يشتمّ منها كلمة «أحمد» أو «محمد». أما جبل فاران فهو الجبل الذي تلألأ منه الرب عندما أتى

من سيناء، وهو الجزء الجنوبي من الجبال التي في القسم الشمالي الشرقي من بادية التيه المسمى الآن «جبل مفرعة». ولا يوجد قرب مكة جبل بهذا الاسم. وسيناء وسعير وفاران أسماء سلسلة جبال كائنة في برية تيه بني إسرائيل، وهي التي تجلى عليها الله لبني اسرائيل.

أما عبارة إشعياء، فلو راجعت الأصحاح من أوله تجده نبوة عن خراب بابل على يد مادي وفارس، وقد كان الماديون يستعملون الخيل والحمير والبغال لجرّ مركباتهم ويركبون الجمال أيضاً، ويتكلم النبي عن حارس باب بيت الملك وصراخه عندما رأى الهلاك مقبلاً. فلا علاقة البتة بهذه النبوة التاريخية والتفسير المعتسف من الأديان اليهودية المسيحية والاسلامية.

أما كلام المثل الوارد في متى فقد كفاه المسيح مؤونة التأويل، بقوله في ختامه: «هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين، لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون». فالكلام محصور في ملكوت المسيح، أي كنيسته. وغاية المسيح هي أن يرى تلاميذه غلطهم بعدم اقتناعهم بالهبة الإلهية، أي الحياة الأبدية، كغيرهم من المؤمنين، وتوقّعهم أن ينالوا أكثر من غيرهم لاتّباعهم المسيح قبل الجميع وتركهم أكثر مما تركه الغير لأجله. وغاية هذا المثل بيان حقيقة واحدة هي أن الحياة الأبدية هبة يتساوى بها جميع المؤمنين.

أما كلام المسيح للسامرية (في يوحنا ٤ : ٢١) فهو إشارة إلى بداءة نظام جديد وإزالة النظام القديم الذي استمر ١٥٠٠ سنة، وأوجب فيه على اليهود أن يذهبوا ثلاث مرات في السنة ليعبدوا الله في مكان معينٍّ، ولم يقصد بذلك تعيين مكة، وإلا لكان قالها. ولكنه قال ما يخالف هذا الزعم: «ولكن الساجدين الحقيقيين هم الذين يسجدون للآب بالروح والحق» لا في مكان معينٍّ ولا أمام مقامات أو أحجار صماء معلومة، ولا بمجرد الشفتين بتكرار بعض الألفاظ دون التمسُّك بمعناها، بل عبادة الآب عبادة روحية محضة مؤسسة على الحق، أي معرفة الله، وطريق الاقتراب منه كما أعلنها يسوع المسيح الذي هو الحق، وأن تكون صحيحة لا ظاهرة فقط. وهذا هو الفرق بين العبادة في الديانة المسيحية وغيرها من سائر الاديان.

أما ما جاء في ١يوحنا ٤ : ١-٣ فإن الرسول يحذرهم من الأنبياء الذين ينكرون على يسوع كلمة الله الأزلية وروحه بتجسّده وتألُّمه وموته وقيامته وصعوده، الأمور التي يعترف بها الرسول في أماكن أخرى عديدة. فإن أولئك أضداد المسيح وليس لهم روح الله. إن الكلام هنا عن ناسوت المسيح وما تبعه من الأعمال المذكورة في إنجيل يوحنا ذاته ورسائله هذه. فهل رسول المسلمين ونبيُّهم يسلّم ليوحنا بها لنقول عنه بحق إنه من الله؟

الفصل السادس

تعاليم المسيح

يذكر العهد الجديد عموماً والبشائر الأربع خصوصاً بإسهاب تعاليم السيد المسيح، بقدر ما يشرح لنا حياته وخدمته. أما القرآن والأحاديث الإسلامية فلا تسير على هذا النمط، بل تشير إلى أمور قليلة جداً لا تروي غليلاً ولا تفيد المعنى المقصود من كلام ذاك الذي قيل عنه: «لم يتكلم أحد قط مثل هذا الإنسان». ومع أننا رأينا أنه توجد إشارات كثيرة في القرآن ليسوع المسيح، ولكن من المدهش أنه لا يوجد في كل القرآن إلا اقتباسات قليلة جداً مأخوذة مباشرة وحرفية من الكتاب المقدس. يوجد اقتباس واحد من العهد القديم قوله في الأنبياء ١٠٥ «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» (راجع مزمور ٣٧: ٢٩). وتوجد آيات قرآنية اقتُبست عن الكتب المقدسة معنى لا لفظاً منها العنكبوت ٦٠ «وكأيِّن من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم، وهو السميع العليم» راجع (متى ٦: ٢٦) عن عناية الله بطيور السماء (سورة الكهف ٢٣، ٢٤) «ولا تقولَنَّ لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله» وهذا يماثل في (يعقوب ٤: ١٣-١٥) «وانتم الذين لا تعرفون امر الغد. . .

عوض ان تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك». وفي الشورى٢٠ «من كان يريد حرْث الآخرة نزِدْ له في حرثه، ومن كان يريد حرْث الدنيا نؤْته منها وما له في الآخرة من نصيب» وهذا يشابه قوله في (غلاطية ٦ : ٧) «فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً».

وأقرب اقتباس للفظ الكتاب المقدس هو ما ورد في الأعراف٤٠ «إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتَّح لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلِجَ الجملُ في سَمِّ الخيَّاط، وكذلك نَجْزي المجرمين» يماثل قوله في (متى ١٩ : ٢٤) «إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله».

ومن مقابلة هذه الأقوال مع ما ورد في العهد الجديد (مع العلم أن القرآن لا يشير إلى أنها مقتبسة منه، ولا يريد أن يعترف بصدورها منه كجزء من تعاليم المسيح) نستطيع أن نرى فكر نبي المسلمين عن الرسالة التي جاء بها يسوع لليهود، فإنه لا يتضح من القرآن أن رسالة يسوع كانت عمومية، بل يتضح عكس ذلك، أي أنه يعترف به رسولاً خاصاً لليهود وليس للعالم كله، ولو أن حوارييه حملوا رسالته إلى جميع أقاصي الأرض. إنه يعترف أن يسوع المسيح كان رسول الله لليهود الذين ضلّوا وكفروا، فصنع يسوع المعجزات ليقنعهم بصحة رسالته، وليقبلوا الوحي المنزَل عليه من الله (أي الإنجيل). ولكن القرآن لا

يبيّن لنا نوع الضلال الذي وقع فيه اليهود أو الكيفية التي بها بعدوا عن دين إبراهيم (أي الإسلام) الذي هو الإيمان بالله الواحد. فقط ورد في محل واحد في التوبة ٣٠ «قالت اليهود عُزَيْر ابن الله» ولكن متى كان ذلك؟ هل كان قبل المسيح أو بعده؟ إن القرآن لا يعطينا جواباً صريحاً.

وذكر الكرماني في كتابه «تاريخ الأزمنة والشعوب» أنه لما كان عيسى ابن ثماني سنوات ختنوه ودعوا اسمه يسوع، ولما بلغ الثلاثين من عمره نزل عليه الوحى فدخل بيت المقدس حيث كان بنو إسرائيل يبيعون ويشترون، فابتدأ يضربهم ويقول لهم: «يا أولاد الأفاعي والحيات، هل جعلتم بيت الله سوقاً؟» حينئذ أنزل الله عليه الإنجيل مع جبرائيل عشر مرات!!

وبما أن القرآن، وبالتالي جميع المسلمين، يعتبرون الإنجيل الكتاب المنزل على المسيح، فيجدر بنا أن نرى ما يقوله القرآن عن صفة الإنجيل وسلطانه. وكلمة إنجيل يونانية هي «إيفانجيليون» وقد وردت في القرآن اثنتي عشرة مرة، في آل عمران ٣، ٤٨، ٦٥، المائدة ٤٦، ٤٧، ٦٦، ٦٨، ١١٠، والأعراف ١٥٧، والتوبة ١١١، والفتح ٢٩ والحديد ٢٧. وجاء في مريم ٣٠ عن لسان المسيح: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً». وجميع هذه النصوص تشير

بأوضح عبارة إلى نزول الوحي على المسيح، وأن إنجيله هو كلام الله الذي لا افتراء فيه. وقد أطلق الكتبة المسلمون كلمة «إنجيل» على كل أسفار العهد الجديد معاً. وترى أن السور التي يكثر فيها ذكر الإنجيل هي السور المتأخرة في التنزيل. ولا يبدي القرآن شكاً ولا ريباً في صحة تنزيل هذه الأسفار وصدق سندها وأنها تعاليم المسيح ورسالته، أتى بها من السماء إلى الناس، بل أنها تؤيد كل الكتب التي أُنزلت من قبله، ويشهد لها أنها كلام الله، وأنها هدى للناس، وأنها التي ترشد الناس للخلاص من الطغيان والكفر. بل قال في المائدة ٦٨ «لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل». وقد دعاه كلمة الحق وقال إن التمسُّك بما جاء فيها يربي في الإنسان روح الخشوع والتعبد (الفتح ٢٩) وأن من يعمل بالإنجيل يجعل الله في قلبه رأفة ورحمة (الحديد ٢٧). ولكن بما أن محمداً يستند على الإنجيل في تأييد رسالته، ويستشهد بقول المسيح نفسه (مع شيوع استعمال الانجيل بين مسيحيي عصره) لا يجد مسلمو العصر الحالي حجَّة يدفعون بها أفكار المسيحيين ووجود هذا القول عن إنجيلهم سوى القول إن المسيحيين حرَّفوا كتابهم أو أضاعوه، إذ فُقد منه (حسب زعمهم) القول الوارد في الصف ٦ «وإذ قال عيسى ابن مريم: يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما بين يديَّ من التورٰة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد».

أما سبب هذا الالتباس فيقول مفسرو الإسلام إن الكلمة اليونانية «باراكليتوس» قد وُضعت بدل الكلمة «بيريكلوتوس» التي تحتمل معنى «أحمد». على أن العمدة في ذلك على علماء اللغة اليونانية الذين اتفقت كلمتهم مدة ثلاثة أو أربعة أجيال قبل ظهور محمد على كتابة الكلمة كما هي في الإنجيل، علاوة على أن سياق الكلام يدل على مجيء إله لا إنسان يسكن في قلوب المؤمنين ويعزّيهم ويرشدهم ويذكّرهم بكل أقوال المسيح. فهل سار محمد على هذه الخطة؟ وهل ادّعى لنفسه الألوهية؟ إننا نعلم أن نبي المسلمين لا يرضى لنفسه هذا الادّعاء، كما أنه لم يقم بشروط البراكليت الموعود به من المسيح الوارد في (يوحنا ١٤: ١٦ و١٥: ٢٦ و١٧: ٧). إذاً لا يمكن أن تكون الإشارة إلى محمد بل إلى الروح القدس، الأقنوم الثالث من اللاهوت. وهل يرضى محمد أن يكون مُرسلاً من المسيح كما قال له المجد عن الروح القدس؟ وهل سار محمد على الخطة التي رسمها المسيح ووعظ وذكرَّ بنفس كلمات المسيح؟ فأين اذاً المطابقة؟ قد انتفت بلا إشكال. ولكنهم مع كل ذلك يقولون إن المسيح أنبأ بمجيء محمد، وأشار صريحاً إليه في الانجيل. ويقول المفسرون إن تعاليم المسيح كانت جميعها على مذهب التوحيد الصرف، ولكن الحواريين حرَّفوه وبدلوه، وقد قال الكلبي (في شرح التوبة ٣٠ «وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول

الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون»): «كان النصارى على دين الإسلام احدى وثمانين سنة بعدما رُفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلّون إلى القبلة ويصومون رمضان، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب. وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس، وكان قد قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام. فقال يوماً لليهود: إن كان الحق مع عيسى فكفَرْنا به فالنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار. ولكن سأحتال وأضلُّهم حتى يدخلوا النار. وكان له فرس يُقال له «العقاب» يقاتل عليه، فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب. فقالت له النصارى: من أنت؟ فقال: بولس عدوكم، وقد نُوديتُ من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تتنصَّر. وقد تبْتُ. فأدخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلَّم الإنجيل ثم خرج، فقال: نُوديتُ أن الله تعالى قد قبل توبتك. فصدَّقوه وأحبُّوه. ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور، وعلَّمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة. ثم توجَّه إلى الروم وعلَّمهم اللاهوت والناسوت، وقال لهم: لم يكن عيسى بإنس ولا بجن، ولكنه ابن الله. وعلَّم بذلك رجلاً يُقال له يعقوب. ثم دعا رجلاً يُقال له «ملكان» وقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى. فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً وقال لكل منهم: أنت خالصتي، وقد رأيت عيسى في

المنام فرضي عني. وقال لكل واحد منهم: إني غداً أذبح نفسي، فادْعُ الناس الى نِحْلتك. ثم دخل المذبح فذبح نفسه، وقال: إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى. فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نِحْلتـه، فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس، فافترقت النصارى ثلاث فرق: نسطورية ويعقوبية وملكانية، فاختلفوا واقتتلوا».

فواضح من هذا الحديث ومما يشابهه من الأحاديث التي يتغنَّى بها المسلمـون أن الإنجيل الذي بيد المسيحيين الآن ليس هو الإنجيل الحقيقي الذي علَّم به المسيح. ومع أن القرآن يأمر المسلمين بالتمسُّك بعروة التوراة والزبور والإنجيل الوثقى، لأنها كتب الله وكلام الله، فإنـك لا تجد في القـرآن ولا في الأحـاديث إشارة إلى محتويات تلك الكتب، لا سيما ما تضمنته من الكلام عن الخطية والخلاص وهما أهم تعاليمها.

ومن حكاية حبيب النجار الغريبة المذكورة في سورة يس ١٣-٣١ نعلم أن الرسل بشروا في أنطاكية واهتدى البعض على أيديهم، منهم حبيب النجـار. غير أن القـرآن لم يذكـر شيئـاً عن حالة المسيحيين هنـالك، ولا عن كيفية التبشير، ولا أن التلاميذ دُعُوا مسيحيين في أنطاكية أولاً. ويقول البيضاوي إن أهل أنطاكية كانوا عَبَدة أصنام، فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين يحيى ويونس، فلما قربا إلى

المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقال: نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص. وكان له ولد مريض فمسحاه فبرىء، فآمن حبيب وفشا الخبر فشُفي على أيديهما خلق. وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم. من أوجدك وآلهتك؟ قال: حتى أنظر في أمركما. فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون، فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال يوماً: سمعت أنك حبست رجلين. قال: فهل سمعت ما يقولانه؟ قال: لا. فدعاهما. فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صِفَاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قال: ما يتمنى الملك. فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشقّ له بصره، وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما. فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا، حتى يكون لك وله الشرف؟ قال: ليس لي عنك سر. إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع. ثم قال: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به. فدعوا بغلام مات منذ سبعة أيام، فدعوا فقام. وقال: إني رأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان، فآمن جمع، ومن لم يؤمن فصاح عليهم جبريل فهلكوا. فبدأ حبيب النجار يبشر قومه، فأخذوا يرجمونه. ولما

هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة. ولا يزال قبر حبيب في أنطاكية إلى يومنا الحاضر مزاراً للمسلمين» (راجع تفسير البيضاوي والزمخشري لهذه الآيات).

لما نرجع إلى الأحاديث والتآليف الإسلامية المتأخرة نجد فيها إشارات صريحة إلى تعاليم المسيح، واقتباسات تكاد تكون حرفية. فجاء في البخاري قوله قال النبي صلعم إن الله تعالى يقول في يوم القيامة: أيها الناس، إني كنت مريضاً فلم تزوروني. فيقولون له: سبحانك رب الكون، كيف كنا نزورك؟ فيجيبهم: إن أحد عبادي كان مريضاً، فلو زرتموه لوجدتموني عنده. وهذا تعليم مهم في بابه لأنه يُشعر بقرابة بين الله والإنسان، الأمر الذي ينكره الإسلام إنكاراً كلياً. وقد أشاروا إلى تعاليم يقولون إن يسوع علَّم بها في الإنجيل الأصلي. فقالوا: قال عيسى في الإنجيل «ارْجُ إذا خفت، وخَفْ إذا رجوت. حياتك نسمات معدودة وعليك رقيب، فلا تنس الموت لأن الموت لا ينساك. الصحة الجيدة ملك متنكر. القلق من صفات الهرم. يستطلب ابن آدم كل ممنوع. الرشوة تعمي أعين الحكماء فكم بالحري الجهال. ابك مع الباكين واضحك مع الضاحكين».

وقد جاءت قصة كتاب بني إسرائيل المنسوب لوهب ابن منبّه، وهي أن عيسى عليه السلام مرَّ ذات يوم بجمجمة مطروحة على قارعة

الـطريق فأمرها ان تتكلم فأطاعت، وقالت: إني أنا بلوام ابن فلان الفـلاني ملك اليمن، وقـد عشت ألف عام وتزوجت نساء كثيرات وقتلت أعـداء كثـيرين وفتحت مدناً كثيرة، فليعتبر بي من يراني ولا يخدعه العالم كما خدعني، لأن كل أيامي الماضية لا أراها إلا كحلم. فبكى عيسى.

ويوجـد اقتبـاس من الـرسـائل يذكره المسلمون وينسبونه لنبيّهم بشهادة أبي هريرة وهو قال الله تعالى «اعددت لعبادي الصالحين ما لم تره عين ولم تسـمعـه أذن ولا خطر ببـال بشر». وهـذه وردت في ١كورنثوس ٢ : ٩ لكننا نرتاب في صحة نسبتها إلى محمد، لأن أحاديث كثيرة قد وُضعت ونُسبت إليه دون أن يكون قد قالها.

جاء في كتب المتأخرين أشياء كثيرة من هذا النوع، ففي «عوارف المعارف» لشهاب الدين السهروردي جاء ذكر الولادة الجديدة ونسبة التعليم بها الى المسيح فقال: «فموت الطبيعة والإرادة الذي يدعونه الولادة الثانية كما كتب عيسى عليه السلام» الى آخر ما جاء.

وجـاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي: «رأيت مكتوباً في الإنجيل «نُحْنا لكم فلم تلطموا. زمَّرنا لكم فلم ترقصوا» ثم يقتبس القول الوارد في متى ٦ : ٢٦ «انظروا الى طيور السماء» الخ.

ويذكـر الطبري في تاريخه عن مسألة رسم المسيح فريضة العشاء الـربـاني وغسـل أيدي تلاميذه وطلبه منهم أن يسهروا معه، ونبوته بجحود بطرس ويقتبس قوله: «أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية». وبعد محمد بعدة أجيال قام شعراء سوريا وإيران ونظموا بعض تعاليم المسيح كما وصلت إليهم من المسيحيين مجاوريهم ومن كتب التقليد والأحاديث. فجاء في كتاب «بستان السعدي» مثل العشار والفريسي بكيفية غريبة.

ومن هذا يتضح أن مجاورة المسلمين للمسيحيين ساعدتهم على نقل القصص والتعـاليم المسيحية إلى تآليفهم الشعرية، وقد تجرأ بعض مؤلفي الإسلام أن ينسبوا إلى محمد أقوال المسيح وتعاليمه، وينقلوه عنه كأنه قائلها. ومن نسبتهم أقوال المسيح إلى نبيهّم يتبينَّ لنا قصدهم الـذي طالمـا جاهروا به، وهو وضع نبيّهم في مقام أسمى من مقام المسيح، وسعـوا جهـدهم في وضعـه محل المسيح، وإخفـاء المسيح لإظهاره هو. ولذلك لا غرابة إذا نسبوا إليه بعض أقوال المسيح. قال أغناز جولدزيهر العلامة النمساوي المشهور، إن كلمات كثيرة فاه بها المسيح نُسبت إلى محمـد، منهـا قولهم إن محمداً قال إن من الذين يغطيهم الله بظله في اليوم الذي لا ظل فيه، الرجل الذي كان يؤتي الصدقات سراً فلا يعرّف شماله ما تعمل يمينه. وقال عبيد الله بن مسعود: «نظرت نبي الله وإذا بالناس تضربه وتهينه وهو يمسح جبينه

بيده» ويقول: «اللهم اغفر لشعبي لأنهم لا يعلمون ما يعملون». قال المفسرون وهم يخبطون خبط عشواء إن النبي «اقتبس كلام نوح النبي عليه السلام» (!!) وقالت الصحابة رضى الله عنهم: «كونوا ودعاء كالحمام» وقال محمد: «إن اكثر أهل الجنة مساكين بالروح». ومن أهم الاقتباسات الصلاة الربانية. ويقول جولدزيهر إن أبا الدرداء الذي كان من معاصري النبي محمد ولم يهتد إلى الإسلام إلا بعد زمن، إلا انه صار من أعظم علماء القرآن، وكان في أيام عثمان إماماً في دمشق حيث مات سنة ٦٥٢م قال (أبو الدرداء) قال محمد: إذا كان أحدكم مريضاً أو كان أخوه مريضاً، فليقل هذا الدعاء «اللهم ربنا الذي في السماء، ليتقدس اسمك. ملكوتك في السماء وعلى الأرض. وكما أن رحمتك في السماء فلتكن هكذا على الأرض. اغفر لنا ذنوبنا وآثامنا لأنك أنت رب الجود، وأنزل على المرضى رحمة من رحمتك وبُرءًا من بُرئك لينال الشفاء من لدنك، إنك الرحيم الغفور». ويقول العلامة جولدزيهر إن المسلمين حتى في حياة نبيّهم اجتهدوا أن يضيفوا إلى حياة النبي وتعاليمه كل ما وجدوه في حياة المسيح وتعاليمه، طالما كان آئلاً لإضافة مجد وعظمة وإكرام نبيّهم، ولذلك لا عجب إذا وجدنا نبيَّ المسلمين قد تحوَّل من صورة صفاته إن لم تكن صورة شخصه إلى صورة صفات مشابهة لما كان للمسيح، حتى يكون له في قلب المسلم المكان الأرفع الذي لا يمكن لأحد أن يناظره فيه أو يسمو عليه. رأى

المسلمون أن مركز المسيحية هو مؤسسها العظيم، فشبهّوا ديانتهم بها بأن جعلوها مرتبطة بشخص نبيّهم، ولذلك جعلوه مثالاً في كل كبيرة وصغيرة. ولقد أجاد كويل بقوله: «حتى ترسم أمام المسلم التقي المتمسك بعُرى دينه صورة جلال روحانية ذاك الذي قال «من رآني فقد رأى الآب» يلزمك أن تزيل كثيراً من البراقع الكثيفة والتقاليد التي بلا أساس التي غطّت عيني المسلم فجعلته لا يستطيع أن يرى مجد وجلال المسيح». إن العالم الإسلامي عدا عن اعترافه أن يسوع المسيح هو نبي حقيقي وأحد الأنبياء الكبار الذين أتوا قبل محمد، فإن جميعهم لا يبالون بأمر رسالته التي أتى بها إلى العالم، ولا بصفات تعاليمه التي تُميِّزها عن تعاليم موسى وأنبياء العهد القديم.

ومع علمنا أن موت يسوع المسيح وقيامته هو الحقيقة الجوهرية في الإنجيل، فإن هذه الحقيقة ليست فقط غامضة في القرآن والحديث بل ومنقوضة أيضاً في أماكن كثيرة، حتى أننا إذا أردنا أن نرى تعاليم المسيح كما يراها المسلم، يلزم أن نغضَّ النظر عن كل ما يتعلق بالتجسّد والكفارة والخلاص من الخطية بالإيمان باسمه. وإنك لا تجد في كل الكتب الاسلامية أثراً ولو طفيفاً للعقيدة المسيحية العظمى وهي التبرير بالإيمان. ولذلك يحق لنا أن نقول إن الاسلام باعتبار فكره وتعاليمه عن المسيح هو مضاد للمسيح وللمسيحية!

الفصل السابع

محمد لا المسيح!

كما انه عند كسوف الشمس لا يظهر في الفلك بهاء نورها ولا نشعر بأشعة حرارتها المحيية، بل يتجلى للعين كقرص منير في كبد السماء لا ميزة له عن سائر الأجرام السماوية، هكذا انكسف بهاء مجد المسيح أمام فكر المسلم. فقد اتضح لك من مطالعة المصادر الإسلامية العديدة التي أشرنا إليها فيما سبق أن حياة المسيح وصفاته قد خيَّمت عليها سحائب كثيرة كثيفة حتى أصبحت غير منظورة للمسلم. ولقد صدق أحد أعراب الإحساء في قوله لي: «لم أكن أعرف عن المسيح إلا اسمه، وأنه نبي كسائر الأنبياء، حتى صارت امرأتي مسيحية. وعندئذ رأيت نوراً جديداً». لأن كل ما قيل عنه في القرآن لا يعطي القارىء إلا صورة مشوهة للمسيح، ومهما قيل في كتبهم عن مقامه كنبي عظيم ذي إكرام جليل بين الأنبياء، فإن جمهور المسلمين قلَّما يفتكرون عنه. وإذا خطر ببال أحدهم فإنه يكون كسحابة صيف سريعة الزوال، فلا يكون له محلٌ في قلوبهم أو حياتهم، إذ يستغنون بنبيّهم عن جميع الأنبياء، لأنهم يعتبرونه خاتمة الأنبياء وآخر المرسلين، وأن ما جاء به

يُغْني عن كل ما سبقه. ومع كل ألقاب الشرف والتكريم والأعمال الباهرة التي ينسبونها إلى المسيح، فإن محمداً في عُرفهم الأول والآخر. وإنك لن تجد في كل الكتب الإسلامية كتاباً خاصاً بوصف عيسى وصفاته وأعماله كنبي ممتاز وحيد في ولادته وحياته وصفاته، بل تجده مع باقي الأنبياء مصفوفاً مع لوط وذي القرنين وإسماعيل وموسى وإبرهيم وآدم!

ولا يجب أن ننسى هذه الحقيقة عند بحثنا في فكر المسلم أو في الكتب الإسلامية عن عيسى، لأن الديانة الإسلامية تواجه المسيحية بصعوبة لا تواجهها بها أية ديانة أخرى. ولقد صدق من قال: «عند بحثنا مع المسلم يجب أن نبحث معه بكيفية تختلف عن الكيفية التي نبحث بها مع غير المسلم، فإننا لا نستطيع أن نقول إن الإسلام أعدَّ أو يعدّ الطريق للمسيحية في بعض الأمور كما تقول ذلك بسرور عن بعض الأديان الأخرى التي ظهرت قبل المسيحية. وكيف يمكننا أن نقول ذلك عن ديانة تنكر الركن الجوهري في الديانة المسيحية؟ نعم إن بعض الأديان لا تعرف شيئاً عن المسيحية. وكلها - غير اليهودية - لا تقول عنها خيراً أو شراً. ولكن الاعتقاد عند المسلم هو أن ديانته جاءت في آخر الأديان ناسخة لكل ما تقدمها». وغلط المسلمين الكبير هو أنهم يعطون مجد المسيح وكل ما جاء عنه لمحمد! ومع أن الكتبة الأولين المعاصرين لنبي الإسلام والخلفاء الراشدين

(وهم من الصحابة الصادقين والأنصار المعجبين) لا يتركون شكاً لقارىء كتاباتهم عن النبي بأنه لم يكن أكثر من إنسان له كل ما في الإنسان من فضائل ونقائص، ولكن كتبة الحديث المتأخرين أبدلوا كل هذا وجعلوه معصوماً من الخطأ، بل ألّهوه! حتى أنك ترى من المائتي اسم واسم المعطاة له ما ينوّه بتأليهه، وإنك تجد هذه الأسماء في كتاب خاص بها، ويتلوها كل مسلم، ومنها نحو أربعين اسماً يعطيها المسيحيون لمسيحهم وكثير منها يطلقه المسلمون على نبيهم وعلى الله أيضاً. وهنا نذكر لك بعض تلك الأسماء المعطاة لنبي المسلمين وهي من اسماء الله الحسنى، أي أنهم يُشركون الله والنبي في أسماء واحدة، مع حذف ال التعريف.

حسب الاشتقاق

أسماء الله	أسماء محمد
الرحيم	رحيم
القدوس	روح القدس
المهيمن	مهيمن
الجبار	جبار
الفتاح	فاتح. مفتاح. مفتاح الرحمة. مفتاح الجنة

الرافع	رافع الرتب
المعز	مخصوص بالعز
الكريم	كريم
المجيب	مجيب
المجيد	الماجد مخصوص بالمجد
الشهيد	شهيد
الحق	حق
العزيز	عزيز
الوكيلأ	وكيلأ
القوي	قوي . ذو قوة
المتين	متين
الولي	ولي
المحيي	محيي
البربر.	مبر
العفوّ	عفوّ
الرؤوف	رؤوف
المقسط	روح القسط
النور	نور. منير. مصباح. سراج
الهادي	هاد. مهدى. هدى. علم الهدى

وإذا رجعت الى كتـاب «دلائـل الخـيرات» مثـلاً تجد كثـيراً من الأوصاف الإلهية والقدرة الفائقة منسوبة الى النبي كقولهم:

الـلهـم صل على بدر التـمام اللهم صل على نور الـظلام
اللهم صل على مفتاح دار السلام اللهم صل على الشفيع في جميع الأنام

ثم يقرأون هذه الأبيات مخاطبين النبي:

يا رحمـة الله إني خائف وجِلُ يا نعمـةَ الله إني مفلس عاني
وليس لي عملٌ أَلقَى العليمَ به سوى محبتـك العظمى وإيماني
فكن أمانيَ من شرّ الحياة ومن شر المـمات ومن إحراق جثماني

ويُدعى نبي الاسلام علاوة على ذلك «نور الله. سلام العالم. مجد الدهور. أول الخلائق». وغير هذه كثير من الألقاب. وكل هذا ليس بشيء يذكـر بالنسبـة إلى ما صاغتـه الصوفية من صيغ الصلاة على محمـد، حتى أن من يقرأ شيئاً منها يتحقق أن ذات محمد هي ذات الله، وصفـاته عين صفاته! اقرأ مثلاً صيغة ابراهيم الدسوقي التى مطلعهـا: «اللهم صلّ على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية الخ» وكصيغة الصلاة المشيشية المشهورة بالوظيفة الشاذلية، فإنها لم تدع لله تعالى شيئاً إلا ونسَبَته إلى محمد من ذات وصفات وأفعال، ومن يقرأها يتحقق أني لست بمبالغ، بل لم أفِ الوصف حقه كما يعلم الله تعالى.

ومع أنه لا يصلي مسلم لمحمد، إلا أنه يختم كل صلاة بالصلاة على محمد، ويكرر ذلك مئات المرات كلما ذكر اسمه. ورغماً عما جاء في القرآن من تصريح النبي بعدم اختصاصه بالشفاعة، فإن أغلب المسلمين يعتقدون أنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة. وأقوى برهان على ذلك كتب الأدعية والأوراد المستعملة في سائر البلدان الإسلامية. ويقولون إن الله أكرمه فوق كل خلقه، واسكنه في أعلى فردوسه، ويجعلونه في درجة أعلى إكراماً وشرفاً من المسيح، بل يقولون إن بيده مفاتيح الجنة وجهنم، ولا يمكن أن يهلك مسلم مهما كانت صفاته رديئة وحياته شريرة، كما لا يمكن ان ينجو غير مسلم من عذاب النار مهما كانت صفاته حسنة وحياته بارة! وينكرون الحاجة إلى مسيح أو وسيط، ويجعلون نبيَّهم وسيطاً بدلاً منه، إنما بدون تجسّد وبدون كفارة وبدون لزوم إلى تغيير الصفات والحياة. وكل من يطالع الأحاديث تتضح له هذه الأفكار كالشمس في رابعة النهار. وقد حاولوا أن يجعلوه فوق المسيح، فنسبوا إليه كل ما نُسب إلى المسيح في العهد الجديد، فقالوا إنه موجود قبل كل موجود، وكتبوا عن سلسلة نسبه إلى إبراهيم فآدم، كما أثبتت الأناجيل سلسلة نسب المسيح. وقالوا إن ملاكاً بشَّر أمه بالحبل به وبولادته كما بشر جبرائيل مريم العذراء، وانه ضاع في صغره كما ضاع يسوع ثم وُجد، ولما كان في الثانية عشرة خرج في سفر كيسوع، وقبل أن دخل على خدمته الجهارية صادفته كيسوع

تجارب شيطانية مشهورة ومهمَّة، وكان أعداؤه أهل بيته وعشيرته كيسوع. وقد اعترفت به أرواح العالم الغير منظورة أكثر مما اعترف به الذين أُرسل لهم، وكما أن الشياطين عرفت يسوع كذلك قبلت الجن الإسلام على يدي محمد. وتزيد قصة معراج محمد بهاءً ومجداً عن قصة تجلّي يسوع، حيث مرَّ نبيُّ الإسلام بجميع الأنبياء وتحادث معهم بعد أن صلى بهم إماماً في المسجد الأقصى، ورأى يسوع في السماء الثانية ثم تركه وصعد إلى السابعة. وقد وردت أحاديث أنه كما المسيح للمسيحيين كذلك محمد للمسلمين، فهو حسب قولهم فوق كل مخلوق شرفاً ومقاماً، وهو خير كل المرسلين، وهو حامل ختم النبوة. وعوضاً عن العشاء الرباني الذي رسمه المسيح قدَّس محمد شرب دمه حتى أنه امتص مالك جرح النبي وقال له: «كل من اختلط دمه بدمي لا تستطيع نار جهنم أن تحرقه».

وكذلك معجزات المسيح الكتابية وأيضاً المعجزات الوهمية التي ذكرتها الأحاديث للمسيح فإنها ليست بشيء بالنسبة إلى المعجزات التي يعزونها إلى نبيهم، فيقولون إنه أشبع جمعاً غفيراً يزيد على ألف بقليل من الطعام. ونبَعَ الماء من بين حفنتيه فأرواهم جميعاً، وفتح أعين العميان وشفى المرضى وأقام الموتى. وقد ذكر له بعضهم ألوفاً من المعجزات وجعلوه أيضاً مثل يسوع في موته كما جعلوه مثله في حياته، فيقولون إنه أنبأ بموته، وقد استأذنه ملك الموت بقبض روحه، وكان

لا مناص له منه فقبله بكل رضى، وقد مات موت شهيد. ولم يكتفوا بنسبة تلك المعجزات والأمجاد الإلهية الى النبي على مثال ما نُسبت في الإنجيل إلى المسيح، بل قالوا أيضاً إنه نبيٌ سبق جميع الأنبياء الذين أتوا قبله وشهدوا له وتنبأوا بمجيئه.

وبالإجمال فإن محمداً عندهم أصبح «المسيح الإسلامي» وتجد سائر الشيع الإسلامية مع اختلافها في أمور كثيرة من فرائض وأحاديث وتفاسير، تتفق جميعها في الحطّ من كرامة المسيح. وقد كتب أحد الشيعيين كتاباً اسمه «مناقب الأبطال» جاء فيه: «كما كان ميلاد المسيح معجزياً هكذا كان ميلاد عليّ. وكما عرف المسيح العلوم وهو صغير هكذا عرفها علي. وكما تنبأ المسيح بمجيء محمد هكذا أنبأ بمجيء علي. وكما أقام الموتى هكذا فعل علي. وكما فتح أعين العميان وشفى البُرص هكذا فعل علي. وكما اختلف الناس في صفات عيسى هكذا لم يتفقوا في صفات علي، ولذلك نحن الذين نؤمن به نعطيه المقام الأعلى» حتى ورد في حديث قول محمد لعلي: «إن مثلك يا علي مثل عيسى بن مريم». وقد قيل في شفاعة الحسين إن النبي قال له: «بشراك يا حسين، افعل ما بدا لك، فقد تمَّ وعد الله وخرج الإذن من القاضي الأعلى الجواد أن أعطيك مفتاح الشفاعة هذا» الخ.

إننا معشر المسيحيين نتمسك بعقيدة التوحيد ونتخذها قاعدة

للاتحاد مع المسلمين، فنعترف من صميم قلوبنا مع المسلم أن «لا إله إلا الله». ولكن بما أنه يوجد إله واحد فقط، فإنه يوجد خلاص واحد فقط ومسيح واحد فقط، وهو رأس الجسد الكنيسة، الذي هو البداءة، بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء، لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه.

إن المسيحية الحية وحدها تقدر أن تقدم هذا التبشير، وهي فقط تستطيع أن تقدم للعالم الإسلامي ما هو في شديد الحاجة إليه. ان محبتنا لهم تزداد كل يوم مهما اشتد رفضهم لمسيحنا. إننا نتألم لهذه الحالة ونحزن، ولكننا نؤمن أنه سيأتي يوم فيه يعترف الكثيرون به، ويقولون مع مسلمة في المغرب قالت لمبشرة: «أرى الآن أن محور ديانتكم هو المسيح، ولذلك أريد أن أحبه وأخدمه».

والمسألة المهمة اليوم بخصوص إخوتنا المسلمين ليست مقدار تقرُّبهم إلى الفضائل المسيحية والمدنية المسيحية باجتهادهم في تجديد هيكل الإسلام، ولكن المسألة هي نفس المسألة القديمة وهي:

«ماذا تظنون في المسيح؟»

ونقدم للقارىء ماذا رأى أحد المتنصِّرين في المسيح: «وُلدت مسلماً

ونشأت بين المسلمين ودرست العلوم الإسلامية بسورية ومصر، فكنت أعتقد بسيدنا المسيح أنه من الأنبياء أولي العزم، وأنه معصوم من كل خطية كبقية الأنبياء عند المسلمين، وأنه كما قال القرآن رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، وأن الله أيدَّه بروح القدس ففعل المعجزات الباهرات المذكورة في القرآن بإذن الله تعالى، إذ هو عبد الله كباقي الأنبياء. وبعد أن أدَّى وظيفة رسالته ومكر اليهود به وهمُّوا بقتله، رفّعه الله إليه وألقى شبَهه على شخص آخر فقبضوا عليه وأماتوه مصلوباً زعماً منهم أنه المسيح.

هذا ما كنت أعتقده في المسيح منذ حداثتي. ولما كثر اطّلاعي على كتب تفسير القرآن وكتب الأحاديث تبيَّن لي أن مفسري القرآن قد أوَّلوا الآيات القرآنية التي تشير إلى لاهوته وموته قبل رفعه بتآويل بعيدة وتمويهات، كأن قصدهم مخالفة ما صرَّح به الإنجيل من لاهوته وموته مصلوباً، مع أن القرآن قد شهد مراراً أنه جاء مصدّقاً للتوراة والانجيل ومهيمناً أي رقيباً وحافظاً لهما من التبديل والتغيير.

فلما تبيَّنت ذلك شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد بتلاوة القرآن وتفاسيره بكل تحقيق وتدقيق، فكشف الله لي عن حقيقة المناقضات والمنافيات الموجودة في القرآن، لا سيما في المواضيع المتعلّقة بحقيقة المسيح وموته، ولذا أقبلت على تلاوة الكتاب المقدس بكل دقة. وما

حملني على ذلك إلا الآيات القرآنية الكثيرة التي تكرر المدح والثناء بأصرح تعبير وأتم تبجيل للكتاب المقدس، فانكشف لي الغطاء وظهر الخفاء، وتحقق لي أن حقيقة المسيح هو ما رمز اليه الله على ألسنة أنبيائه في العهد القديم تدريجياً، وصرح به في العهد الجديد ووضحه بكل صراحة، من أن حقيقة المسيح هو كلمة الله الأزلية قد تجسَّد في أحشاء مريم ليجمع بين عدل الله ورحمته، بتقديمه نفسه فداءً عن كل من يقبله فداءً عنه. وبالفعل قد سلَّم نفسه لأعدائه باختياره، وأكمل عمل الفداء بموته على الصليب، ثم قام من قبره في اليوم الثالث منتصراً على الموت، وبقي حياً بجسده بين المؤمنين به أربعين يوماً، يجالسهم ويكالمهم ويواكلهم ويشاربهم، وآثار المسامير في يديه ورجليه وأثر طعن الحربة في جنبه. وبعد ذلك صعد إلى السماء وأعين تلامذته شاخصة إليه حتى غيَّبه السحاب عن أبصارهم، بعد أن وعدهم أنه سيرسل إليهم المعزّي الروح القدس، ليعلّمهم كيفية تبشير العالم ببشارة الخلاص بعمل الفداء. وقد وفَّى لهم بما وعدهم حيث قد تكلم على ألسنتهم بلغات مختلفة لم يكونوا يعلمونها من قبل، بل قد تكلم على ألسنتهم بحكم وعلوم الإلهية، مع أن أكثرهم عوام صيادو سمك، حتى أدهشوا العلماء وحيَّروا الفلاسفة والحكماء.

وبناءً على ما صرح به المسيح في إنجيله من أن الله واحد بالذات مثلث الأقانيم، بعد أن رمز إلى ذلك في العهد القديم، وأنه كلمة الله

الأزلية وابنه الوحيد، وأنه هو والآب والروح القدس واحد، صرت بنعمته تعالى مسيحياً معتقداً أن المسيح ذو طبيعتين: (أ) ناسوتي أي انسان تام تجوز عليه الأعراض البشرية بأجمعها إلا الخطية (فإنه مقدس عنها) وما هذا التجسُّد والتقديس عن الخطية إلا ليكون من جنس البشر ليصحَّ بعدل الله أن يكون فداءً عنهم. (ب) ولاهوتي، إذ هو الكلمة الأزلية الإلهية، وبهذه الطبيعة كان يفعل ما يشاء من المعجزات والأعمال الإلهية، وأنه منذ صعوده أعطاه الآب كل سلطان على الأرض وفي السماء ليكون هو الكل في الكل. ومنذ صعوده هو جالس عن يمين الآب ليشفع فينا، وهو موجود معنا بروحه القدوس بكل آن ليرشدنا إلى الصلاح ويوبخنا على الخطايا ويعزينا في التجارب والمصائب، وسيأتي من السماء مرة ثانية ليدين الخطاة ويختطف المؤمنين أحياءً وأمواتاً إلى السماء ليرثوا معه الملكوت ويحيوا حياة أبدية.

ولو أني سطرت بعض النعَّم الروحية التي أنعم عليَّ بها منذ اعتمدت باسمه واستندت عليه بجميع شؤوني وما فعله لأجلي من الخوارق، لطال ذلك، ولكن من ذاق عرف!

وحيث لا بد أن سيكون هذا الكتاب في أيدي الكثيرين من إخوتي المسلمين، فإني أنصحهم نصيحة أخوية أن يُقبلوا على مطالعة الآيات القرآنية التي مواضيعها عن المسيح، ويطالعوا ما تكلم به المفسرون

عليهـا، ولكن يحكّمـون العقـل الإنسـاني بتلك التفـاسير، تاركين التعصّب والتحزّب، ثم يُقبلون كما أقبلتُ على تلاوة الكتاب المقدس، فإني أعتقد أنه ولا شك سيرشدهم الله تعالى بنور هدايته إلى طريق الحـق والحياة، بل إلى الصراط المستقيم، صراط الـذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان فنالوا الهداية والغفران».

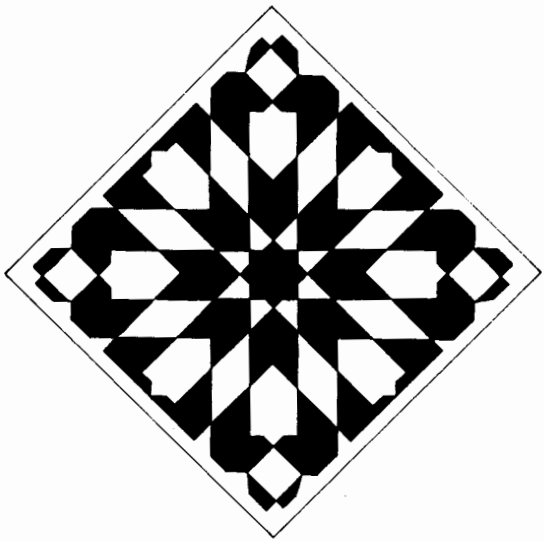

الفصل الثامن

أنتم شهودي

ما تقدم من وصف المسيح في الكتب الإسلامية يحرك قلب كل مسيحي غيور ليشرح لإخوانه المسلمين حقيقة وصف يسوع، ليزيل من فكرهم تلك الصورة المشوَّهة الناقصة التي لا تؤدي إلى حقيقة مخلّص البشر الذي فيه حل كل ملء اللاهوت جسدياً، والذي هو الحق كله، وأن يخرجه من ظلام الأحاديث إلى كمال نور شمس البر المضيئة.

مما تقدم من هذه الفصول عن المسيح في الإسلام يتضح لنا أول كل شيء أن أول رسالة يجب أن نبلغها للمسلمين هي يسوع المسيح، لأن معرفتهم عنه ناقصة مشوَّهة وغير كافية، بل ومبهمة كلية. فعلينا أن نتَّخذ هذه المعرفة الضعيفة التي لهم عن مسيحنا سلماً نتدرَّج به إلى تعليمهم عن الأمور الحقيقية. والواجب الذي علينا بسيط جداً: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، لأن كل الناس في حاجة للإنجيل. لأنه إن كان يمكن الاستعاضة عن الإنجيل بكتاب آخر تعترضنا مسألة مهمة وهي مسألة الخلاص، هل هو

بالمسيح أم بمحمد؟ ولكن قد علّمنا المسيح أنه يوجد طريق واحد للخلاص لكل الناس، به هو وفي استحقاق ذبيحته لا بأعمال بر يعملها الإنسان. إن دائرة الخلاص محصورة في المسيح، وكل من لا يقبل خلاصه هالك لا محالة. إن من يرفض المسيح ويضع ثقته في آخر سواه أو حتى في رحمة الله، لا رجاء له في نيل الخلاص. ومن يضع ثقته واعتماده في نبي أو رسول غير المسيح، يكون كمن يفتش لنفسه عن مخلص بشري. والمسيحي لا ينتظر الخلاص لمجرد كونه مسيحياً، بل كل الذين ينالون الخلاص بغضّ النظر عن علاقاتهم الظاهرة بالمسيحية يخلصون فقط بعلاقاتهم الغير منظورة بالمسيح، فينالون بمساعدة روح الله تلك الصفات التي تجعلهم ودعاء واثقين بالله، فتصيرّهم في حالة مطابقة لصفات الله وحكمته وصلاحه، لكي يمكنهم أن ينالوا من الله عطية الغفران المجانية في استحقاقات المسيح، ويتمتعوا بأفراح محبته وفوائد موت المسيح لأجلهم، فإن الخلاص هبة مجانية معطاة من رحمة الله ومؤسسة على كفارة المسيح، وليس لأعمال الانسان وبره أدنى دخل فيها. فيجب على كنيسة المسيح أن تستخدم كل الفرص التي أمامها وتقدم رسالة الإنجيل لإخواننا المسلمين، بملء الانتظار أن قوة الروح القدس، الذي يعلن المسيح للقلوب، تقود الكنيسة في وقت الله المناسب لاكتساب النفوس لمخلصها وراعيها العظيم.

يقـولون إن الإسلام لا يمكنه أن يتفق مع المسيحية في عقائدها الأسـاسية، حيث العقـل لا يستـطيع أن يقبل ما يقتصر قبوله على الإيمان، وذلك مثل قضايا التجسد وألوهية المسيح والثالوث. فنقول إن هذه الأمور ليست حجر عثرة للمسلم فقط، بل هي قضايا وقفت المسيحية أمامها بدهشة، وحدث بسببها اختلاف وانشقاق في الكنيسة ذاتها. على أن هذه الحقائق هي لب ديانتنا وأسرارها العميقة وأركانها الجـوهرية، وبدونها لا تفرق المسيحية شيئاً عن الأديان والفلسفات الأخـرى. ومن المهم أن نلاحظ أن الديانة الإسلامية التي ابتدأت بدون شفيع، وبنبيّ هو بشر، تدرَّجت مع مرور الأجيال إلى نسبـة وظائف وصفات الشفيع الذي هو المسيح إلى محمد. وهذا الأمر يدلنّا على شدة شعورهم بالحاجة الى المسيح. فلما نقدم المسيح لأخينا المسلم العارف بعيسى وبعض صفاته، نكون قد قدمنا له حقيقة ما ينقصه في إيمانه، ونأتي اليه بالضالة التي يبحث عليها و لا يجد للوصول إليها سبيلاً. وإن كان الصليب هو الحلقة الوحيدة المفقودة في قانون إيمان المسلم، فالكـرازة بالصليب (مـع أنها حسب الـظاهر جهالة عنده) تكون بعد قليل حكمة الله وقوته.

وبين كل النقط الجوهرية التي نتكلم فيها مع أخينا المسلم لا توجد نقـطة أهم من حقيقة المسيح، لأن الإسلام كما رأينا يسلّم بمجيء المسيح وولادته الخارقة الطبيعة ووظيفته السامية بصفته آت بإعلان

خصوصي من الله، وبعصمته من الخطأ، وبحنوّه على الناس، وبعمله المعجزات. بل إن ذات أسمائه المعطاة له في القرآن والحديث يمكن اعتبارها دلائل تقودنا إلى الإنجيل. بل حتى الأقوال المتضاربة التي جاءت في الأحاديث عن صَلْبه وموته يمكن اتّخاذها حجّة دامغة على صدق الحادثة والاستدلال بها بكيفية معقولة ومقبولة على صلب المسيح وموته لأجل الخطاة أجمعين، إذْ لا حلَّ لهذا الإشكال ولا توفيق لهذا التناقض في الأقوال إلا بالتسليم بما يؤيده التاريخ وتشهد به حقيقة الحال. إن المسيح يسوع سلامنا، ولذلك قال القرآن: «سلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً» (مريم ٣٣). وهذه الأيام الثلاثة التي يعتبرها القرآن في تاريخ المسيح هي الأيام الثلاثة المقدسة في التاريخ المسيحي وعند كافة المسيحيين، أي يوم الميلاد ويوم الجمعة الحزينة (الكبيرة) ويوم القيامة. وهكذا بقبولنا حقائق الدين الإسلامي عن مسيحنا، وتوجيهنا أنظار أخينا المسلم إلى المسيح الذي ينير كل إنسان نساعده أفضل مساعدة ممكنة.

ومع أن الفكر الإسلامي عن الله ليس له السمو والقداسة التي للفكر المسيحي من جلاله وطهارته وقداسته، غير أن التوحيد الإسلامي أساس نقدر أن نبني عليه بناء معرفة الله معرفة أتم وأكمل، لا سيما عن قداسته وعدله ومحبته. وبهذه الكيفية يستطيع المسلم المعترف بيسوع أنه نبي فقط أن يقبل معرفة أوسع وأتم عنه وعن

صفاته، فينتقل من صورة يسوع الناقصة إلى جماله الباهر الموصوف في الإنجيل.

إن قبول الإسلام أنبياء العهد القديم، والإكرام الممتاز الذي يخصّ به ربنا يسوع المسيح، والشهادة القوية الواردة في القرآن للكتب المقدسة، كل هذه مبادىء استعدادية مهمة. ويجب على من يكرز للمسلمين أن يكون عالماً بديانتهم. إن اعظم صعوبة في سبيل الكرازة للمسلمين الى يومنا الحاضر هي جهل الكارزين بالقرآن والأحاديث وحياة محمد والفكر الإسلامي عن المسيح وعوائد وطباع المسلمين.

ويعيب كثيرون من المسلمين على نبيهم صفات كثيرة وإن كانوا لا يستطيعون أن يصرّحوا بذلك، ولكن ما جاء في القرآن والأحاديث الأولى كافٍ لأن يروا فيه ما يُرى في كل إنسان معرَّض للزلة والخطأ. وما جاء عن علاقاته بالنساء يجعل بعضهم يحارون في أمره. فعلى الكارز بالإنجيل أن لا يجرح إحساسات أخيه المسلم بذكر هذه العيوب بلا لزوم، بل عليه أن يبيّن سمو صفات يسوع وطهارة سيرته ونقاوة حياته كما جاء عنه في الكتب الإسلامية ذاتها وفي الإنجيل بكيفية أتم وأكمل. واعلم أن ترك إيمانك مداراة للمسلم لا يُكسبك احترامه. إنه يعظّم نبيه، فلماذا لا تعظم مسيحك وتكرمه في عيني المسلم؟ بل اعلم أن تقديم المسيح له شجاعة، وإظهار الحقائق

المسيحية أمامه بكيفية واضحة تجعل سموها وجلالها واضحين أمامه، وتـظهـر صفـات الرب يسوع متلألئة أمام عينيه لا تنفّره منك، بل بالحري تجعله يفكر ويقارن.

ان قلب الانجيل واعظم حقيقة فيه تمتلك قلب المسلم بقوة وتسود على قلب كل خاطىء هي حقيقة الاتحاد بين رحمة الله وعدله الظاهرة في صليب المسيح. فإذا قدَّمت له هذه الحقيقة بكيفية مناسبة فانها تؤثر على نفسـه تأثيراً لا يعلم مقداره إلا الله وحده، الذي بروحه يُقنع الخطاة ويُبكّتهم ويُرجعهم إليه. وحتى يتنبَّه فيه الشعور بالخطية وهو أول عمـل أساسي يجب أن نبدأ به. فقدّم له تلك التعاليم النفيسة الواردة في موعظة المسيح على الجبل، وبيّن له حقيقة حياة المسيح. وليس من الحكمـة أبـداً أن تقارن بين المسيح ومحمد، بل صِفْ له المسيح واترك المقارنة له.

ونســأل كل مسلم مخلص النية أن يدرس الإنجيل ويرى بعينيه حقيقة الرب يسوع الذي تكلم عنه القرآن كلاماً عظيماً ودعاه نبي الله ورسوله. نطلب منه أن يدرس الحقائق الأساسية التاريخية في الديانة المسيحية وينتقدها ويمحّصها كما يشاء، ويرى بنفسه ما ادَّعاه يسوع لنفسه، وماذا فهم تلاميذه والكنيسة الأولى فيما ادّعاه. إننا نرغب أن يدرس المسلم الإنجيل ويطالعه بالكيفية التي يرغبها. فقط نطلب منه

أن يجعل أمامه غرضاً واحداً وهو أنه يأتي وجهاً لوجه أمام يسوع نفسه ليتعلّم أن يعرفه، ويرى كيف نادى لنفسه، بمركز سامٍ أمام كل البشر وأمام الله، مركز لم ينادِ به سواه لنفسه، ومركزٍ لم يملأه أحد باستحقاقٍ مثله. ونوجّه له السؤال الذي وجّهه المسيح لتلاميذه وللعالم أجمع: «ماذا تظنون في المسيح؟»

(١) وأول كل شيء تربحه الكنيسة من هذا العمل المبارك هو زيادة تمسكها بحقائق الايمان المسيحي، لأنه كلما تواجهت مع المسلمين في النضال لأجل الحق ازدادت اطلاعاً وتمسكاً بعقائد التجسد والكفارة والثالوث. كلما درسنا الإنجيل مع المسلم ولأجله اتضح لنا أكثر فأكثر أن موت المسيح الغير المعتَرَف به صريحاً في الإسلام له المقام الأسمى في الإنجيل والرسائل، بل هو قلب ومركز وخلاصة إعلان الله للإنسان. وهذا يصح أيضاً على طبيعة وأدلة قضية قيامة المسيح وحقيقة الإيمان بلاهوت الله إيماناً صحيحاً بالمقابلة مع التوحيد الإسلامي.

(٢) وتضطر الكنيسة في مصارعتها ومناضلتها مع التوحيد الإسلامي وإنكاره للوحي المسيحي أن تتعمق في معرفة مبادئها اللاهوتية تعمُّقاً اختبارياً، وبهذه الكيفية تصير المسألة الإسلامية للكنائس الشرقية مسألة إنهاض من سُبات وإحياء من موت، لأنها

ترى حقيقة كنوزها الروحية وتشعر بمسئولياتها الروحية الكرازية. أما عقيدة التجسّد وعقيدة الروح القدس فليستا قطعتي سلاح نظيفتين لامعتين وحادَّتين يجب أن تُحفظا في غمْدهما للعرض والفرجة والإعجاب بديننا، ولكنهما أمران حيويان في حياتنا المسيحية. ان عقيدة الثالوث يجب أن تحيا على كل لسان وقلب مسيحي. قال رجل حكيم: «يضطرنا الإسلام أن نجد الثالوث في قلوبنا، ويضطرنا أن نجد الثالوث في قلب الله. إن إنكار المسلمين للكتب المقدسة والإيمان بالثالوث المسيحي يضطران الكنيسة أن تبحث في هذه المسألة. مرة أخرى تتأمل في قضية الكفارة العظيمة وأسرارها العميقة في نور القول الإلهي: «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه». اننا بدرسنا حقيقة «التوحيد في الإسلام» تفيض قلوبنا بالشكر والحمد لأجل معرفة الإله الواحد الحي الحقيقي المعلن لنا في الكتب المقدسة، وهذا يؤدي بنا إلى معرفة أعمق وشعور أقوى برحمة الله الظاهرة لنا في ذاك الذي حلَّ فيه ملء اللاهوت جسدياً، والذي لأجل تقديمه ذاته ذبيحة عن البشر الخطاة يستحق «القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة».

(٣) تتحقق الكنيسة أن مذهب التوحيد مجرداً عن التعاليم المسيحية يجعل الله لغزاً غير مفهوم، ويجعل عبادته أمراً طقسياً لا تأثير له على نفوس العابدين. ان الموحّدين يعظمون المسيح ولا شك،

ولكنه تعظيم بالكلام لا بالعمل يجعله شخصاً كسائر الأشخاص، فيعظّمون صفاته ولكنهم يغضّون الطرف عن شخصه لعدم شعورهم بأدنى حاجة إليه. إننا لا نقدر أن نتصور فكراً صائباً عن الله بدون المسيح لأنه هو الابن الوحيد الذي في حضن الآب، وجاء ليخبر عنه. فمهما علَّى المسلمون المقام الرباني فإنهم لا يصلون إلى حقيقة صفات الله (الرحمة والمحبة والقداسة) بدون المسيح، وهي الصفات التي تجعلهم يدركون الله قريباً من القلوب والإحساسات والعواطف. فبالمسيح ابن الله وحده يستطيع الناس معرفة نسبتهم الجديدة لله، أي أبناء وشركاء في الطبيعة الإلهية، لا مجرد خليقة صنعها البارىء وترك لها الحبل على الغارب لتجاهد حتى تصل اليه. بالمسيح فقط يستطيع البشر أن يدركوا عمل الروح القدس المعزي ورب الحياة وواهب الحياة.

لا تقول المسيحية بتعدد الآلهة، بل هي موحّدة قبل سواها، ولكنها تعتقد أن الله ثلاثة أقانيم في جوهر واحد وإله واحد.

ومتى شعر المسلم بثقل خطاياه يسرع إلى المخلّص الحي ابن الله الحقيقي، حمل الله رافع خطية العالم. وهناك امام صليبه تزول كل صعوباته العقلية، وأمام شمس البر يضيء عقله وقلبه بالنور السموي شاعراً بغفران خطيته وزوال جهالته وتحريره من عبوديته، فيهتف قائلاً

مع الكنيسة المقدسة الجامعة الحية إلى الأبد:

«أومن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض وكل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. إله من إله. نور من نور. إله حق من إله حق. مولـود غير مخلوق مسـاو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء. الذي لأجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسَّد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنَّس وأيضاً صُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقُبر وقام أيضاً في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الآب، وسيأتي ايضاً ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء.

وأومن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن، له السجود والمجد مع الآب والابن، الناطق بالانبياء.

وأُومن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

وأُومن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وأنتظر قيامة الموتى وحياة الدهر العتيد».

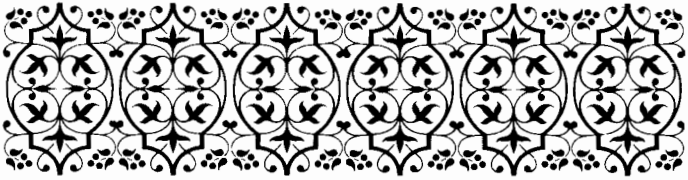

مسابقة كتاب
المسيح كما يراه المسلمون

أيها القارئ العزيز،

إن تعمقت في قراءة هذا الكتاب تستطيع أن تجاوب على الاسئلة بسهولة. ونحن مستعدون أن نرسل لك أحد كتبنا الروحية جائزة على اجتهادك. لا تنسَ أن تكتب اسمك وعنوانك كاملاً عند إرسال إجابتك إلينا.

١ - ما معنى لقب «المسيح»؟

٢ - تعترضنا ثلاث صعوبات عند دراسة سيرة المسيح في القرآن. ما هي؟ وما سبيل التغلُّب عليها؟

٣ - في الأنبياء ٩١ لُقِّب المسيح «آية للعالمين». ما معنى هذا اللقب؟

٤ - في آل عمران ٤٥ لُقِّب المسيح «كلمة الله». ما معنى هذا اللقب؟

٥ - اكتب آيتين قرآنيتين ذكرتا معجزات المسيح. اكتب الشاهدين أيضاً.